أسرار
زيارة الأربعين

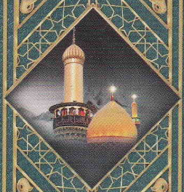

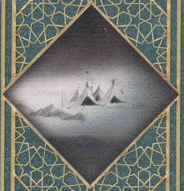

تقريراً لأبحاث المرجع الديني

الشيخ محمد السند (دام ظله)

بقلم

ابراهيم حسين البغدادي

٢/١

دار المحجة البيضاء

أسرار
زيارة الأربعين
٢/١

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨م

ISBN 978-614-426-960-2

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال - ص.ب: ١٤/٥٤٧٩
هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
almahajja@terra.net.lb info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com

أسرار
زيارة الأربعين

تقريراً لأبحاث المرجع الديني
سماحة الشيخ محمد السند دام ظله

٢/١

بقلم:
إبراهيم حسين البغدادي

دار المحجة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

أسرار
زيارة الأربعين

القسم الأول

الإهداء

إلى الحسين وأولاد الحسين وأصحاب الحسين . . .

إلى زوّار وعشاق أبي عبد الله الحسين . . .

إلى المشاة المنجذبة قلوبهم وروحهم إلى روح سيد الشهداء الحسين . . .

إلى خدمة زوار سيد شباب أهل الجنة الحسين . . .

إلى كل من تعلق قلبه بسبط الرسول الحسين . . .

إلى الذين يحرسون ويسهرون لحماية زوار أبي الأحرار الحسين . . .

إلى الدماء التي سالت من أجل الوصول إلى كربلاء الحسين . . .

إلى كل هؤلاء الأحباب أهدي لهم هذا الجهد المتواضع

إبراهيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد...

إن هـذا الكتاب هو عبارة عن بحث مستلّ من كتاب الشعائر الحسينية (ج٣) وقد ألقى هذا البحث ـ أسرار زيارة الأربعين ـ سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند بمناسبة زيـارة الأربعين لسيد الشهداء عليه السلام من هذا العام، وتعميماً للفائدة جعلنا هذا البحث في كتاب مستقل وهو الـذي بين يديك، حيث بين فيه شيخنا الأستاذ فلسفة زيارة الأربعين ومدى انعكاسها على الروح والنفس البشرية وماتلهمه هذه الشعيرة المقدسة من الإنجذاب الروحي لسيد الشهداء عليه السلام خصوصاً

ولشهداء الطف عموماً حتى يعيش الفرد المؤمن من خلالها حالة الصفاء الروحي مع المحيط الذي يعيشه ويتعامل معه بكل حب ووداد الهي، حتى انعكست هذه المناسبة العظيمة بصورة إيجابية على الساحة الدولية للمذهب الحق ـ مذهب ومدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ حتى أخذت بعض الدول الكبرى تراقب هذه الملحمة الحسينية وهذا الحدث عبر الأقمار الاصطناعية لأهميتها وخطورتها على الوضع العام في منطقة الشرق الأوسط والمناطق الأخرى وبأعتراف من بعض الساسة الدوليين كما سوف يتضح، كل هذا سوف تجده ـ عزيزي القارئ ـ بين طيات هذا الكتاب.

وأخيراً نسأل من الله القبول بمحمد وآله الطيبين الطاهرين إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين.

٨/ربيع الاول /١٤٣٣
ذكرى استشهاد الإمام الحسن
العسكري عليه السلام
إبراهيم حسين البغدادي
النجف الأشرف

دعاء الإمام الصادق (ع) لزوّار قبر جده عليه (ع)

روى مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ اسْتَأْذَنْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقِيلَ لِي ادْخُلْ فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُهُ فِي مُصَلَّاهُ فَجَلَسْتُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يُنَاجِي رَبَّهُ وَهُوَ يَقُولُ:

يا مَنْ خَصَّنا بالْكَرامَةِ؛ وَوَعَدَنا بالشَّفاعَةِ؛ وحمّلنا الرسالة، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الأُمم السالفة، وَخَصَّنا بالوَصيَّةِ؛ وأعْطانا عِلمَ ما مَضى وعِلْمَ ما بَقيَ، وَجَعَلَ أفْئدَةً مِنَ النّاسَ تَهْوِي إلَيْنا، اغْفِرْ لي ولإخْواني وَزُوَّارِ قَبر أبي الحسين صبلوات الله عليهم.

الَّذين أنْفَقُوا أمْوالَهُمْ وَأشخَصُوا أبْدانَهم رَغْبَةً في بِرِّنا، وَرَجاءً لِما عِنْدَكَ في صِلَتِنا، وسُروراً أَدْخَلُوهُ عَلى نَبِيِّكَ محمد صلى الله عليه وآله، وَإجابَةً مِنهُمْ لأمْرِنا، وَغَيظاً أدْخَلُوهُ عَلى عَدُوِّنا.

أرادُوا بذلِكَ رِضوانَكَ، فَكافِئْهُمْ عَنّا بالرِّضْوانِ، واكْلأُهُم

باللَّيلِ وَالنَّهارِ، واخْلُفْ عَلىٰ أهالِيهم وأولادِهِمُ الَّذين خُلّفوا بأحْسَنِ الخَلَفِ وأصحبهم، وَأكْفِهِمْ شَرَّ كلِّ جَبّارٍ عَنيدٍ؛ وَكُلّ ضَعيفٍ مِنْ خَلْقِكَ وَشَديدٍ، وَشَرَّ شَياطِينِ الإنْس وَالجِنِّ، وَأعْطِهِم أفْضَلَ ما أمَّلُوا مِنْكَ في غُرْبَتِهم عَنْ أوْطانِهِم، وَما آثَرُونا بِهِ عَلى أبْنائهم وأهاليهم وقَراباتِهم.

اللّهُمَّ إنَّ أعْداءَنا عابُوا عَلَيهم بخُروجهم، فَلم يَنْهِهم ذلِكَ عَنِ الشُّخوصِ إلينا خِلافاً عليهم، فارْحَم تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتي غَيْرتها الشَّمْسُ، وَارْحَم تِلكَ الخدُودَ الَّتي تَتَقَلّبُ علىٰ حُفْرَةِ أبي عَبدِالله الحسينِ عليه السلام، وَارْحَم تِلكَ الأعْيُنَ الَّتي جَرَتْ دُمُوعُها رَحمةً لَنا، وارْحَم تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتي جَزَعَتْ واحْتَرقَتْ لَنا، وارْحَم تِلكَ الصَّرْخَةَ الَّتي كانَتْ لَنا.

اللّهمَّ إني اسْتَودِعُكَ تلْكَ الأبْدانَ وَتِلكَ الأنفُس حتّى تَرْويهمْ عَلى الحَوضِ يَومَ العَطَشِ.

فما زال يدعو عليه السلام وهو ساجدٌ بهذا الدُّعاء، فلمّا انصرف قلت : جُعِلتُ فِداك لو أنَّ هذا الَّذي سَمعتُ منك كان لِمن لا يَعرفُ اللهَ عزَّوجَلَّ لَظننتُ أنَّ النّار لا تطعم منه شَيئاً أبداً!! والله لقد تمنَّيتُ أنّي كنتُ زُرْتُه ولم أحُجّ.

قَالَ لِي: مَا أَقْرَبَكَ مِنْهُ فَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ زِيَارَتِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاوِيَةُ لِمَ تَدَعُ ذَلِكَ.

فانبرى معاوية وقد ذهل ممّا سمعه من الامام عليه السلام في فضل زيارة الحسين عليه السلام

قائلاً: جُعلتُ فِداك لَم أرَ أنَّ الأمر يبلغ هذا كلّه ؟

يَا مُعَاوِيَةُ مَنْ يَدْعُو لِزُوَّارِهِ فِي السَّمَاءِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْعُو لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ولَا تَدَعْهُ لِخوفٍ من أحدٍ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَأَى مِنَ الْحَسْرَةِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّ قَبْرَهُ كَانَ بِيْدَهِ.

أَمَا تُحِبُّ أَنْ يَرَى اللَّهُ شَخْصَكَ وَسَوَادَكَ فِيمَنْ يَدْعُو لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ؟

أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فيمَّنْ تُصَافِحُهُ الْمَلَائِكَةُ؟

أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فِيمَنْ يَأتي وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ فَيُتْبَعَ بِهِ؟

أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فِيمَّنْ يُصَافِحُ رَسُولَ صلى الله عليه وآله ؟[1].

---

(١) كامل الزيارات :٢٢٨، ثواب الاعمال :١٢٠، الحديث ٤٤، الكافي ج٥٨٢:٤، الحديث ١١.

أسرار زيارة الأربعين

إن زيارة الأربعين هي عبارة عن مهرجان إلهي تعبوي يتمّ فيه نوع من دخول البشر في النور، وبالتالي يدرّبون على التضحية في سبيل القيم والمبادىء ومن ثم على رفعة معدن الذات والطينة الإنسانية، فبدل أن تكون خسيسة، دنيئة، دنية، أسيرة للشهوات أو للغرائز أو للدنيا أو لحب البقاء، وبدل أن تكون ذليلة ورهينة السفاسف سوف تتصاعد وتحلق إلى المعالي، وتبني شخصية الإنسان في هذا المعسكر، وتتشبع فيها القيم والمعالي والفضائل والعزة.

ولذلك نرى كل المراقبين الدوليين المترصدين - ومن مصادر عديدة - يقرون بأن هذه الزيارة الملايني هي أكبر معهد ومعسكر تدريب للنفس البشرية بشكل عظيم، حيث يدربها على التضحية والفداء والعطاء. بحيث أي دولة كبرى لو أرادت أن تعبّئ شعبها ولو لشرائح قليلة منه استعداداً لحرب - مثلاً - أو حرب طوارئ التي تطرأ على البلد فلا

تستطيع أن تجند إلا القلّة القليلة وبالترغيب والترهيب، بينما في زيارة الحسين عليه السلام نجد الملايين من البشر، بل زحف بشري ملايين وطوعي من نفس البلد ومن خارجه، فما هذه القدرة في التعبئة؟!

زيارة الأربعين والمراقبة الدولية:

إن كل المراقبين الدوليين على وجل وخوف من هذا المهرجان العبادي الروحي العملاق، لأن هذه الوقود والقدرة في التعبئة المليونية والسنوية لا يمتلكها أكبر نظام على وجه الأرض، ولا أي دولة عظمى ولا الوسطى ولا الدول الأخرى، بل حتى الدول الإسلامية بل وبصراحة حتى النظم الشيعية لا تمتلك هذه القدرة وبشكل لا ملل ولا كلل، وإنما الذي يمتلك هذه القدرة والوميض والمحرك هو الإمام الحسين عليه السلام وبشكل طوعي ليس فيه أي ترغيب أو ترهيب، بل فيه المخاطر والتضحية بالنفس والمال للزائرين المشاة بسبب الإرهاب الحاقد الأعمى البغيض.

فقد ذكر عدّة من الأخوة من ذوي الرصد والمتابعة أن بعض الدوائر الغربية تجري دراسة خاصة سنوية عبر إذاعاتها ومواقعها وعبر الانترنت حول ما يفعله الخطباء والرواديد من تأثير في نفوس الشباب.

زيارة الأربعين والنظام البائد:

وقد كان النظام البائد ـ كما جاءت الأنباء والمصادر بذلك ـ يستعرض فيلماً وثائقياً عن هذه الظاهرة الحسينية على أعضاء القيادة القطرية قبل سقوط النظام العفلقي بأشهر، وأخذ يستنطقهم ويستدرجهم لأخذ آرائهم في كيفية قمع هذا البركان الحسيني، فتخوف كل أعضاء قيادته ولم يجيبوا بشيء لا نفياً ولا إثباتاً خوفاً من غطرسة طاغيتهم، وبعد ذلك أجابهم أن هذا الزلزال الحسيني لم يهدأ أبداً ولكني في السنة القادمة سوف أفعل ما أفعل، وأخذ يتهدد ويتوعد بقطع الأيدي والأرجل والأذان ـ ولكن ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

فالذي كان يقرف العفالقة وطاغيتهم العفن خوفا ووجلاً ومن وراء نظامهم دوائر دولية كثيرة هي المخططة لهذه الأمور هو أن هذه القدرة التعبوية الحسينية رغم إرهابهم لم يستطيعوا أن يوقفوا التدريب على الشجاعة والجرأة الموجودة في معسكر الحسين عليه السلام فالعراق هو قلب الشرق الأوسط وهو مفرق جغرافي إلى قارة آسيا وأفريقيا فبالتالي هو مفرق الحضارات والأديان ومفصل لكل شيء، وهو قلب نابض والحسين رابط في هذا القلب وكل هذه القدرات التعبوية موجودة عنده عليه السلام.

---

(١) سورة الصف: ٨.

المشروع المهدوي قائم بالمشروع الحسيني:

ومن خلال ما سبق فإن الحسين عليه السلام هو الناصر لولده المهدي عجل الله فرجه وهو الذي يعد العدة له عجل الله فرجه لأن هذا التدريب الروحي وهذه التربية الروحية وهذا البناء الروحي الإنساني لأجيال المؤمنين يتم بيد الحسين عليه السلام فهو الذي يوطىء للظهور ولنصرة ولده المهدي عجل الله فرجه ومن هنا نستطيع أن نقول أن المهدي ينصر بالحسين عليه السلام، وهذه نقطة مهمة.

والنقطة الأخرى أن المشروع المهدوي لا تقوم له قائمة بدون الحسين عليه السلام.

وبعبارة أخرى أن ولاء المؤمنين للإمام المهدي عليه السلام متشعب عن ولائهم واستماتتهم ومودتهم بجده الحسين عليه السلام وليس العكس، وهذه النقطة تبين موقع الإعتقاد بالإمام الحسين عليه السلام وكيف هو متقدم على موقع الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام ويشير الى مراتبهم عليهم السلام مافي الزيارة (لعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها)، فإعتقاد المؤمن أولاً بالله وبالنبي صلى الله عليه وآله هو الذي يدعوهم لنصرة الإمام المهدي عجل الله فرجه، فكذلك اعتقاد المؤمن بأمير المؤمنين أولاً هو الذي يدعوهم لنصرة الإمام المهدي عليه السلام ثانياً. وهنا كذلك فاعتقاد المؤمن بالإمام الحسين هو الذي يكسبهم الولاء للإمام

المهدي عليه السلام فواضح أن المشرووع المهدوي قائم بالمشروع الحسيني، وبعبارة أخرى أيها المهدويون يا عشاق المهدي عجل الله فرجه ويا عشاق الظهور والفرج بابكم الأوسع لنصرة الإمام المهدي عجل الله فرجه ولإقامة المشروع المهدوي هو مشروع الحسين عليه السلام والشعائر الدينية وهذا أمر عظيم جداً يجب الالتفات إليه.

ومن ثم فزيارة الأربعين هي بنفسها وبحجمها الملاييني هي تربية على الإعداد للظهور وللمشروع المهدوي.

المراقبة الدولية لزيارة الأربعين

هناك مصادر موثقة وموجودة ولكن بما أن البحث بحث معرفي فسوف نعرض عن ذكر التسميات حتى لا يأخذ البحث مسارات أخرى.

هناك مراقبون دوليون يراقبون الظاهرة المسيرية الملاييننية التي يخرج لها شعب بأكمله ومن جميع المحافظات، بحيث تفرغ أغلب هذه المحافظات عن بكرة أبيها، فلو نلاحظ أي تجمع بشري الآن وفي أي مدينة حتى من البلدان المتحضرة صناعيا وتقنياً كالغرب وغيره أنهم كم يحتاجون لأجل تجمع بشري ما من ناحية البعد الأمني إلى مؤونة لحراسة هذا التجمع،

وكيف يتم تدبير الرعاية الصحية، الرعاية المرورية، رعاية التموين الغذائي، الرعاية الأمنية من داخل التجمع ومن خارجه، الرعاية في جدولة البرامج، الرعاية الإدارية في تنسيق هذه البرامج بين بعضها البعض، الرعاية البلدية وغير ذلك، وبعبارة أخرى مرافق الدولة بوزاراتها الخدمية وغير الخدمية وحتى السيادية لا تستيطع أن تنظم مثل هذه الظاهرة الملايينية إذا كانت في بقعة ومنطقة واحدة فكيف إذا كانت منتشرة على جميع الطرق من المدن المختلفة التي تؤدي نهايتها إلى كربلاء الحسين عليه السلام ولعدة أيام أو أسابيع.

فنظم هذه الأمور في علم الإدارة، العلوم الإستراتيجية، العلوم البلدية، علوم إدارة المدن لو تمت هذه العلوم في نظم هذا المجموع ورعايته فلا تستطيع السيطرة عليه بل هو خارج عن قدرة الدولة تماماً، فمثلاً الحج قد يصل عدد الحجيج فيه إلى ثلاثة ملايين ولأيام معدودة وفي داخل بقعة جغرافية محدودة وهي مكة المكرمة والمشاعر، وفي كل هذا التطور الحاصل فيها من الأبنية والمرافق والمرور تقع فيها الضحايا والشكاوى وغير ذلك، فكيف بالانتشار البشري الذي يمر عبر طرق بين المدن والصحراء وبمسافات تقدر بمئات الكيلومترات، فكيف يمكن لدولة أن تنظمه، والحال أنه ليست الدولة هي التي تنظمه وإنما هو ينظم تلقائياً من المؤمنين.

أحد الرموز ذكر أن مسؤول القوات المسلحة للشرق الأوسط للإدارة الأمريكية راقب هذه الظاهرة والمظاهرة الحسينية عبر الأقمار الاصطناعية لمدة أسبوعين أو أكثر وبث مباشر فأنبهر وقال: أنا اعترف أنتم ـ الشيعة ـ أكثر تحضّراً بالمقايسة مع الأحداث التي تقع في نيويورك أو باريس.

وهذا واقع وليس فيه أي تعجب، لأنه راقب الحدث مباشر فلم ير أي فتنة أو قتال أو عراك أو اصطدام أو إرباك، حسب ما يقول، في حين سمعنا وربما البعض منا شاهد ذلك أن الكهرباء أنطفأت لدقائق قليلة في الدول المتحضرة في الآليات التقنية المعدنية والصناعية كالغرب فأختل الوضع الأمني حيث حصل سطو وسرقات، بينما هنا في زيارة الأربعين لم يحدث أي شيء من هذا القبيل، وهذا ليس بصدفة بل هو إعجاز ولكن لا الإعجاز بمعنى أن نرى يد من الملكوت وإنما نفس برامج قيم وتعاليم أهل البيت عليهم السلام لحقايق القرآن هي إعجاز، فإن نور تربية أهل البيت عليهم السلام إعجاز، معارف وآداب أهل البيت عليهم السلام إعجاز.

زيارة الأربعين والمدينة الفاضلة:

إن معسكر الأربعين هو عبارة عن تجسيد المجتمع والمدينة الفاضلة أمام مرأى البشر، وهذا التجسيد يتجدد في كل عام من

قبل المؤمنين، وأحد تفسيرات المدينة الفاضلة التي فسرت من قبل الحكماء وأصحاب العلوم الأجتماعية هي التي لا تحتاج إلى رئيس وموجه، فكأنما البشر فيها قد وصلوا إلى مرحلة البلوغ العقلي والروحي والإداري والعلمي، فإن نسيجهم الطبيعي هو الذي يدبر نفسه بنفسه، وهذا في الحقيقة هو غلبة العقل والنور على الغرائز، لأن الغرائز الهابطة الأرضية كما يصفها القرآن الكريم ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1] منشأها هو الحرص والطمع وهذا ما بيّنه الكتاب الكريم ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

فإذا كان العقل والنور والقلب يطغى فسوف تكون هناك جنة وأمان، ولهذا السبب نرى أكثر الحكام الجبابرة والأنظمة الحاقدة على مذهب أهل البيت يتخوفون من هذه الظاهرة الحسينية وهذا ما أشارت إليه التقارير الدولية التي تراقب هذا الحدث بخفية وغير خفية.

فلا يمكن أن ننظر إلى زيارة الأربعين كطقوس عبادية محضة بقدر ما هو عبادة بناء مجتمع وبناء رؤية ثاقبة، ومرآة ناصعة للبشرية.

---

(١) سورة البقرة: ٣٦.

(٢) سورة البقرة: ٣٠.

فلو نلاحظ مفهوم التكامل ومفهوم التضامن وكل المفاهيم الأخلاقية وليس على الصعيد الفردي والأسري بل على الصعيد المجتمعي تتجسد في زيارة الأربعين، كحل الأزمة الاقتصادية، وحل الأزمة الأمنية، وحل الأزمة العنصرية والتمييز العنصري وغير ذلك من الأمراض الكثيرة التي تعاني وتقض من مضجع البشرية كل هذه الأزمات حلولها في مدرسة ومنهاج الحسين عليه السلام فتعالوا واشهدوا هذا المجتمع الفاضل والمجتمع النوري، والذين يعيشون أيام مسيرة الأربعين يعيشون في الواقع حالة الصفاء الروحي والنوري ويتمنى كل فرد منهم أن يعيش هذه الحالة طول عمره.

ولهذا نرى المؤمن إذا دخل في معسكر هذه الأجواء للشعائر الحسينية يعيش حياة هذا المجتمع النوري الفاضل ولكن إذا رجع إلى مدينته أو بيته وتناسى الحسين عليه السلام فبقدر ما نبتعد عن الحسين عليه السلام نبتعد عن هذا النور وعن هذه الجنة والجنان والمثالية، وبقدر ما نعيش ونقبل على الحسين عليه السلام نعيش هذه الجنان الحسينية كما روى عنهم عليهم السلام : من أقبل علينا أقبلنا عليه ومن أدبر عنا أدبرنا عنه.

فبقدر ما يقبل المؤمنون على مدرسة أهل البيت عليهم السلام يعيشون الصفاء والنور والثمار، وفي نفس الوقت يجسدون حاضرة متمدنة لم تشهدها إلى الآن البشرية، فهناك تحدي بين

قيادة سيد الشهداء وتأثير سيد الشهداء وتربية سيد الشهداء للبشرية وبين كل الحضارات والأنظمة والمدارس البشرية وكل المصلحين البشريين بما فيهم المسلمين والمؤمنين.

فلا يوجد أي مصلح غير الحسين عليه السلام يمكنه أن يربي ويصهر النفوس على مسار ذهبي ولو كان عالماً مؤمناً.

الحسين عليه السلام أسوة قدماً:

ففي حديث عظيم لأمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف ولده الحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله أسوة أنت قدماً.

يعني أنت منذ القدم أسوة وقدوة حتى للأنبياء والرسل، وهذه منقبة ومعجزة لسيد الشهداء عليه السلام كما أنه برهان عصري نشهده الآن، فباب الحسين عليه السلام وسفينته أوسع وأكبر، وما نشاهده الآن في المجتمعات البشرية المضرم فيها التكالب والتطاحن والحروب والعداوات والتي تأن من الظلم الاقتصادي بسبب الأزمة المالية الراهنة الآن، ومن الظلم والتمييز الهمجي، وكل الأنظمة التي حكمت وجاءت بالاشتراكية والرأسمالية والشيوعية والديمقراطية إلى الآن لم تقدم أي حلول لهذه الأزمات، وفي ظل هذا نرى هناك بيعة وانقياد بشري طوعي سلمي سلس وسنوي لسيد الشهداء عليه السلام

والقريب والبعيد والعالم وغير العالم تأثر في هذه المدرسة وفي هذه الدولة التي رقعتها النفوس والبشر وليس الجغرافية، هذه الدولة قائمة ومبنية على يد سيد الشهداء عليه السلام فكم هي قدرة قيادة الإمام الحسين عليه السلام للمجتمعات.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام يا أبا عبد الله أسوة أنت قدماً يعني أن الحسين عليه السلام تأثيره ليس فيما بعد واقعة عاشوراء بل قبل، حيث علم به الأنبياء والأوصياء، فماذا صنع بهم الحسين لكي يكون لهم أسوة؟!

حيث أن الله عز وجل كان يوحي ويقص على الأنبياء ما يجري على سيد الشهداء عليه السلام في واقعة عاشوراء لكي يعضهم ويربيهم على الصبر [1] وعندما يستعرض لهم واقعة عاشوراء كان يأخذهم البكاء، وهذا نوع من الآلية والبرنامج التربوي من الله عز وجل لأنبيائه كي يكامل بهم إلى المعالي، ومن هنا كانت مواقف سيد الشهداء في الطف التي هي بالقياس للأنبياء مستقبل.

الحسين يربي الأنبياء:

وبذلك أصبح سيد الشهداء عليه السلام بهذا التقدير من الله عز

---

(١) راجع بحار الأنوار ج٤٤: ٢٢٢، الباب (٣٠) إخبار الله تعالى أنبيائه ونبينا صلى الله عليه وآله بشهادته.

وجل منذ القدم إماماً للأنبياء والرسل لما سيقوم به، وليس يقتصر ذلك على جانب الصبر والتحمل في الدين وجانب الإخلاص والخلوص وغير ذلك من الكمالات العظيمة، ولكن أيضا أحد الجوانب الأخرى وهو أن بكاء الأنبياء على سيد الشهداء عليه السلام نفسه هو برنامج تربوي روحي، فكما يبكون خوفاً من الله فبكائهم حزناً على الحسين يكامل ذلك البكاء، لأن البكاء يوجب رقة الروح، ويوجب تواضع الإنسان، ويوجب كبح هيجان الغرائز بل له فوائد للعقل لأن العقل يعمى بالشهوة، هذا بالنسبة إلى الأنبياء.

وأما بالنسبة إلى الأئمة عليهم السلام فقد تطالعنا الروايات المستفيضة أن سيد العابدين عليه السلام قضى أربعين سنة من عمره في البكاء على أبيه الحسين عليه السلام حتى عد أحد البكائين الخمسة عليهم السلام

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «البكاؤون خمسة (آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين) وأما علي بن الحسين عليه السلام فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله: إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم

من الله ما لا تعلمون إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة»[١].

فقد صنع الإمام الحسين عليه السلام لابنه السجاد عليه السلام جواً تربوياً وقلب حياته إلى رياضة ذكر الله تعالى عبر توجهه بالبكاء على أبيه إلى الله تعالى وهي أسلوب للشكاية من الظلم بتوجيه الشكاية إليه تعالى.

بل لنترفع أكثر، هناك روايات ومن مصادر الفريقين قد أحصاها الشيخ الأميني[٢] في خمسة عشر مجلس أقامه النبي صلى الله عليه وآله بكاءً على سيد الشهداء عليه السلام وكذلك السيد شرف الدين[٣]، فقد أقام النبي صلى الله عليه وآله يوم ولادته وقبلها ويوم السابع من مولده وبعده في بيت فاطمة وفي حجرته وعلى منبره وفي بعض أسفاره وتارة يبكيه وحده، ومرة هو والملائكة، وأحياناً هو وعلي وفاطمة، وكان النبي صلى الله عليه وآله يجهش في البكاء، فبكائه صلى الله عليه وآله تعالي روحي، وان كان سيد الأنبياء أعظم شأناً من سيد الشهداء ولكن نور الحسين يؤثر على نفس النبي صلى الله عليه وآله كما أن نور النبي صلى الله عليه وآله أعظم من نور الحسين ولكن نور الحسين عليه السلام يؤثر على بدن النبي صلى الله عليه وآله ويؤثر على النفس النازلة للنبي صلى الله عليه وآله يعني

---

(١) البحار ج٤٦: ١٠٨.

(٢) سيرتنا وسنتنا للعلامة الأميني صاحب كتاب الغدير.

(٣) المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة.

(حسين مني وأنا من حسين) ولا يخفى أن بدن النبي صلى الله عليه وآله وروحه ونفسه أعظم من بدن وروح الحسين عليه السلام لكن نور الحسين عليه السلام إذا قيس إلى النفس النازلة للنبي صلى الله عليه وآله حسب بيانات أهل البيت عليهم السلام هو قبل مقام النفس النازلة للنبي صلى الله عليه وآله صدوراً في عالم الخلقة لأنه أول ما خلق الله نور النبي ثم نور علي ثم نور فاطمة ثم نور الحسن ثم نور الحسين ثم الأئمة التسعة المعصومين عليهم السلام[1].

وهذا شبيه ما ذكرناه في مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام بالنسبة لتسمية النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام بأم أبيها، فكيف تكون السيدة الزهراء عليها السلام أماً لأبيها المصطفى وهو أبوها وسيدها، فإن نورها شيء والنفس النازلة للنبي صلى الله عليه وآله شيء آخر.

وهكذا الأمر في القرآن والعترة، ففي بعض الروايات أن القرآن هو الثقل الأكبر، وفي بعضها أن العترة هم الثقل الأكبر، وهذا ليس تناقضاً في الروايات وإنما كل طبقة صفتها هكذا، فهناك طبقات في العترة إذا قيست مع الطبقات النازلة من القرآن فإن العترة هي الثقل الأكبر، والطبقات العليا في القرآن إذا قيست مع الطبقات النازلة في العترة فالقرآن هو الثقل الأكبر، وإن كان من حيث المجموع سيد الأنبياء هو سيد الأنبياء،

(١) بحار الأنوار ج٥٣: ١٤٢.

ولذلك ورد في الروايات «يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما»[١].

وهذا ليس معناه تفضيل فاطمة على النبي وعلي أو تفضيل علي على النبي صلى الله عليه وآله - والعياذ بالله - وإنما المقصود هو ما بيّناه سابقاً، وهذا نظير «علي مني وأنا من علي»[٢] و«حسين مني وأنا من حسين»[٣] وورد «حسن مني وانا من حسن».

إذن تداعيات نهضة الحسين عليه السلام أورثت للنبي صلى الله عليه وآله حالات روحية خاصة، وإلى الآن يقيم النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة وذريتهما الرثاء لسيد الشهداء عليه السلام بل يزورونه هم وجميع الأنبياء، فإن أرواح النبيين عليهم السلام تستأذن الله في زيارته فيأذن لهم كما ورد ذلك في الروايات[٤].

وهكذا صنع سيد الشهداء عليه السلام مع باقي الأئمة عليهم السلام حتى قال الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: فلأندبنك صباحاً ومساءا ولابكين عليك بدل الدموع دما) فلم يزل سيد الشهداء أسوة قُدُماً من الزمن الأول وإلى الآن كما ورد في قول[٥] أمير المؤمنين له،

---

(١) مجمع النورين للمرندي: ١٤.
(٢) روضة الواعظين: ١١.
(٣) كامل الزيارات: ١١٦ ح١٢٧.
(٤) التهذيب ج٦: ٤٩، الوسائل ج ١٠: ٣٦٥، نور العين: ١٠٠.
(٥) كامل الزيارات: ١٤٩، الباب ٢٣ ح:٣.

وإذا كان هذا صنع الحسين عليه السلام بالمعصومين الأربعة عشر فكيف صنعه بالأنبياء السابقين، فحقاً كان سلوة وأسوة لهم في الصبر والتحمل والزهد في الدنيا وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام يا أبا عبد الله لم تزل أسوة أنت قدماً[١].

الحسين هو الذي يحكم العراق والبلدان

الحسين حاكم القلوب:

فالحسين عليه السلام الذي قد استشهد قبل أربعة عشر قرناً لا زال مسيطراً على النظم البشرية وعلى المجتمع البشري أقوى من سيطرة أي نظام في العالم، وهذا ما نشاهده الآن في زيارة الأربعين، حيث يخرج زمام الأمر من يد الدولة ويكون بيد الحسين عليه السلام وهذا ما قاله بعض المسؤولين من أن الحسين عليه السلام هو الذي يحكم العراق خلال زيارة الأربعين.

ولو أطلق الفضاء للشعوب الأخرى حتى الغربية إذا أطلق سراحهم عن سيطرة أنظمتهم لرأيناهم ينجذبون وينقادون للحسين وما تمليه مبادىء الحسين وقيم الحسين والجو التربوي لسيد الشهداء ولعاشت البشرية في الجنان لأنه عليه السلام يحكم القلوب إلى الصفاء، وليست البشرية وحدها تنقاد له عليه السلام بل حتى الملائكة فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس من

(١) كامل الزيارات: ١٤٩، الباب ٢٣ ح:٣.

ملك في السماوات والأرض إلا وهم يسألون الله عز وجل أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام ففوج ينزل وفوج يعرج»[١].

المشي إلى العبادة عبادة:

وهذه قاعدة فقهية وهي أن المشي إلى العبادة عبادة[٢]، فهناك نصوص خاصة تدل على أن السير إلى سيد الشهداء كالسير إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام وبقية الأئمة وله في كل خطوة حجة وعمرة وهذه بعض النصوص:

عن بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث له قال: فقال: «يا بشير إن الرجل منكم ليغتسل على شاطىء الفرات ثم يأتي قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه فيعطيه الله بكل قدم يرفعها أو يضعها مائة حجة مقبولة، ومعها مائة عمرة مبرورة، ومائة غزوة مع نبي مرسل إلى أعداء الله وأعداء الرسول»[٣].

وأيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما عبد الله بشيء أشد من المشي ولا أفضل منه»[٤].

---

(١) كامل الزيارات: ٢٢٣.

(٢) قد أشار إليها الشيخ الأستاذ في بحث الحج على العروة الوثقى ولكن قرر الآن بعض الأخوة الأعزاء هذه القاعدة بشكل أوسع من السابق.

(٣) الكافي ج٤: ٥٨١، كامل الزيارات.

(٤) وسائل الشيعة ج١١: ٧٨

حرمة مناسبة وموسم الأربعين:

وهناك قاعدة شرعية أخرى وهي أن حريم أي مناسبة شرعية لا يقتصر تبجيلها وتعظيمها بيوم تلك المناسبة بل ما قبلها وما بعدها أيضاً لهما نفس حرمة ذلك اليوم، وهذا شبيه بحرمة الموقع الجغرافي المقدس مثل الكعبة جعل لها المسجد الحرام حرمة لها ومكة حرمة للمسجد والحرم المكي حرمة لمكة والمواقيت حرمة للحرم المكي.

وهكذا حرم المدينة المنورة جعل لها النبي ﷺ حرم فهي تحيط بالمسجد النبوي.

وهكذا مرقد أمير المؤمنين عليه السلام حيث ذكر الشيخ الطوسي [1] أن الصلاة عند أمير المؤمنين عليه السلام من ناحية القصر والتمام كالمساجد الأربعة التي يتخير فيها المسافر بين القصر والتمام، وعلل ذلك إن تمام الصلاة في مسجد الكوفة لأنها حرم أمير المؤمنين عليه السلام والقبر هو موضع الحرم ومركزه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من مخزون علم الله الإتمام في أربع مواطن: حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين وحرم الحسين بن علي عليهم السلام [2].

---

(١) المبسوط ج١: ١٤١.

(٢) التهذيب ج٥: ٤٧٥/ ١٤٩٤.

وأصل حرم أمير المؤمنين عليه السلام مرقده وفي شعاعه مسجد الكوفة.

وبذلك أفتى الشيخ الطوسي بل السيد المرتضى وابن الجنيد والشيخ حسين العصفوري بالتخيير في النجف الأشرف وكل المشاهد المشرفة للمعصومين عليهم السلام.

والحاصل أن المكان الجغرافي المقدس يؤخذ ما حواليه حريما له ويتسع هذا الحريم، فكل ميقات جغرافي أو ميقات زماني له حريم والأمثلة في ذلك كثيرة لا يسع المجال لعرضها الآن.

ومن خلال كل هذا يتضح أن ما قبل يوم الأربعين وما بعده هو من حريم يوم الأربعين ويعتبر الأربعين موسما كما هو الحال في موسم الحج، وهذا أمر له دلائل كثيرة لشرعيتها.

العلمانية الجديدة وزيارة الحسين عليه السلام :

إن البعض من مدعي العلمانية الجديدة يستنكر قضية السير الى الإمام الحسين عليه السلام لأنه يسبب تعطيل وتجميد حياة الكثير من الناس والمواطنين حسب ادعائه، وهذا البعض يرى أن الحضارة والتمدن هو القائم على طلبات البدن والمادة، وأما ما يتصل بالروح فلا نصيب له في التحضر والتطور، فتراه يستكثر أن تحصل عطلة مدتها أسبوعان لمهرجان روحي، تتبدل

فيه الأنماط الخلقية الروحية من الأنانية الذاتية إلى روح التكافل الاجتماعي وإيثار الإخاء والتعاون المثالي وذلك في زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام، بينما تعطل الدول الغربية قاطبة للأعياد المسيحية ورأس السنة الميلادية لنفس هذه المدة وأكثر فلا يستكثرها وهو قابع في أحضانهم، مع أن تلك الأعياد عندهم قائمة على التوغل في الفحشاء وانهدام الأسرة، فها هو الغرب يعاني من خطر يهدد حضارته المادية وهو الشيخوخة وقلة النسل، المنذرة بانقراض تلك الشعوب وزحف المد البشري الإسلامي ووراثته لبلدان الغرب، وهذا مؤشر استراتيجي لأن الحضارة لا يمكن أن تقوم على البدن والمادة وحدها، بل لا بُدَّ من استيفاء نصيب الروح فيها كذلك، فإن الخلقة الإلهية قائمة على التركيب بين الطرفين.

ألا يرى هذا المنبهر بالمادة والقائل بأن النجاة هي بالطواف المركزي حول المادة، ألا يرى أن الباري تعالى شرع موسم الحج لبيته الحرام ثلاثة أشهر من السنة، وأن مراسم الحج لا تستغرق أكثر من أسبوعين لغالب من يحج من المسلمين، بل جعل تعالى العمرة مندوبة في كل شهر من أشهر السنة، وجعل بيته الحرام الكعبة مثابة للناس على طول السنة، وذلك حفظاً للتوازن بين المادة الروح، وبين الدنيا والآخرة، بل إن عمارة المادة والدنيا لا قوام لها إلا بعمارة الآخرة، كما أن

طريق الآخرة يمر عبر الدنيا، فهلاك الروح هلاك للمادة الذي يحرص عليها كل الحرص هذا البعض.

إن النشاط والعمل والجدية لا تنحصر ببرامج الدنيا والمادة، فإن للروح برامج وعملاً ونشاطاً، فهل توزيع الوقت على كلا الطرفين يعتبر كسلاً وعطلاً وفشلاً؟ ألا يعلم هذا البعض أن أسباب الأزمة المالية التي يعاني منها الغرب والعالم عدة سنين حالياً ترجع أسبابها الخلفية إلى انعدام فلسفة الفضيلة في الاقتصاد الرأسمالي القائم على الشره والحرص والطمع اللامحدود، والاستهلاك المادي المفرط بلا قناعة، وانفجار الغرائز الحيوانية بشراسة، الأمر الذي يبدو كأنه يروق لهذا البعض، فيعتبر ذلك نجاة للأمة، وأما نمو وازدهار الفضيلة الروحية عبر أسبوعين من مراسم ذكر الصالحين من البشرية فيراه هلاك للأمة، نعم إنه هلاك ولكنه لعنف الشره الغريزي الحيواني إنه هلاك لشراسة الأخلاق المادية، لكنه نجاة للفضيلة الروحية والتربية السامية، ألا يرى كم تصرف الدول على التربية من الأوقات والأموال، أفي ذلك هلاك؟! نعم في ذلك هلاك للرذائل المزيلة لأمن المجتمع واستقراره ورقيه.

ألا يرى هذا كم تصرف الدول في جانب الثقافة، من الأوقات والأموال، أفي ذلك هلاك؟! وكم ينعجن ثقافياً من يتردد على مجالس الوعظ والخطابة، ألا يرى كم تصرف الدول

في جانب التربية التعبوية العسكرية والأمنية لمجتمعاتها، كي تزيد من تنصيب القوة الروحية الدفاعية لها، وكم يتعبأ روحياً وحماسة الذي يشترك في مجالس العزاء على قادة الفضيلة والصلاح من أئمة أهل البيت عليهم السلام فتزيد من صموده وثباته وشجاعته وإعداده الروحي للمقاومة، ألم تنتصر المقاومة من أتباع أهل البيت عليهم السلام الإسلامية في جنوب لبنان على الأسطورة الإسرائيلية التي هزمت جيوش كل أنظمة العرب طيلة خمسين عاماً؟ وذلك بفضل كل من الإعداد الروحي المقام والإعداد العسكري الآلي، والإعداد الروحي ألم يكن ذلك بشعار (يا حسين) (يا أبا الفضل العباس) فلماذا يتعامى هذا البعض عن كل هذه البركات لشعائر ومراسم العزاء؟

ألم تبق هذه الشعائر في مقاومة ومواجهة البعث وصدام حتى أطاحت به؟ ألم ير هذا البعض أن قوة روح شعب العراق في مواجهة الإرهاب والتكفيريين إنما هي ببركات المشاركات في هذه الشعائر، فلماذا يريد أن يخسر الشعب كل هذه القوة والعظمة والمجد؟ ولماذا يغيظه قوة الأمة الإيمانية وها هي تنتشر في أرجاء الأرض ناشرة بذلك ما يسعد البشر من روح السلم والتآخي والمودة والألفة.

ثم ألا يرى إلى القرآن الكريم كم يمتدح البكاء والحزن

ويذم الفرح والبطر، فإن الحالة الأولى كفيلة بردع غرائز الإنسان عن الطغيان والعتو فيأمن المجتمع من الفراعنة والطواغيت، بينما الحالة الثانية تولد في المجتمع الأنانية والذاتية والطغيان، فإن الإنسان يحتاج إلى دوام التذكير والوعظ كي لا يفشو التكالب والتقاتل على الأموال، وعلى القدرة، بل إن البكاء والحزن يبث روح المسؤولية والخدمة للآخرين فيا أبيها البعض لا تغتض من هلاك الرذيلة وهلاك الضعف الروحي في الأمة.

ولا تغتض من نجاة الفضيلة وأسباب القوة وازدهار الحضارة

والغريب من هذا البعض الذي يتخوف على المتدينين والمقيمي العزاء لأهل البيت عليهم السلام يخاف عليهم ردّة الفعل والتحلل من ثوابت الدين مع أن هذا البعض وجملة من رفقائه في فكره قد تبنوا العلمانية الجديدة (الحداثويات) طولاً وعرضاً حتى تملص كثير منهم من الثوابت القرآنية.

سر التركيز على زيارة الحسين عليه السلام:

هناك إثارة يثيرها البعض وهو أنه لماذا هذا التخزين الكثير والتعبئة النفسية، وشحذ الأنفس بنحو الدوام والتكرار لمصاب سيد الشهداء عليه السلام سنوياً ويومياً (السلام عليك يا صاحب

المصيبة الراتبة)[١] بل في كل ساعة وآن، وقد أشار إلى ذلك الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن زيارة الحسين عليه السلام فقيل له: هل في ذلك وقت أفضل من وقت؟

فقال: «زوروه صلى الله عليه في كل وقت وفي كل حين، فإن زيارته عليه السلام خير موضوع فمن أكثر منها استكثر من الخير، ومن قلل قلل له»[٢].

فما هو السر في هذا التركيز والتكرار هل هي تعبئة أحقاد أم هي تعبئة انفعال وانفجار؟!

هناك أسرار كثيرة للإجابة على هذه الإثارة ومن الطبيعي هذه الأسرار لا نستطيع الإحاطة بها بقدر ما استطعنا أن نفهمها من بيانات القرآن وبيانات مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

السر الأول:

إن مشروع أهل البيت عليهم السلام من أضخم المشاريع الإلهية، وهذا المشروع يحتاج إلى وقود وطاقة ضخمة، ومر بنا أن هذه الطاقة الضخمة هو الإمام الحسين عليه السلام.

إذن: هذا التركيز ليس عبطاً بل له غاية كونه مشروعاً

---

(١) البحار ج٩٧: ٢٨٧.

(٢) الوسائل ج١٤: ٤٧٣.

يهيمن على كافة أرجاء الأرض ويستمر إلى يوم القيامة فلا بُدَّ أن يؤمن الجهد والطاقة لهذا المشروع اللامتناهي.

السر الثاني:

وهو أن الإنسان يحتاج إلى دوام الذكر، ومرّ بنا سابقاً أن البكاء يكبح الشهوات ويكبح الغرائز ويكبح القوى النازلة للإنسان وفي نفس الوقت ينير القلب ويقوي العقل، فالإنسان دائماً يحتاج إلى توازن وترويض ومسك زمام للغرائز النازلة، ومن هنا فالبكاء على سيد الشهداء عليه السلام من أقوى الأبواب للوصول إلى هذه الغاية وهو الدوام والسيطرة على الغرائز بشكل متوازن كما ذكرنا، والخلاص من ميول النفس الدائم جذبها للإنسان، فلا بُدَّ من دوام المثير لها إلى الصعود عن التلوث في نقع الرجاسة وهذا المثير هو سيد الشهداء عليه السلام.

فهو عليه السلام ثورة على النفس في انحطاطها في براثن الشهوات والغرائز وطيران إلى سماء العلوّ في الفضائل والسموّ إلى النور والصفاء والطهارة القدسية عند الساحة الربوبية وتصوير أوضاع عصره عليه السلام وكيف تبرثن وتسربل كثير من نجوم ووجوه عصره ذوي الأسماء اللامعة من الصحابة وأولادهم في الدنيا وحب البقاء في الملاذ والوداعة ولو على حساب الدين، فثار من حضيض السقوط لدى معاصريه وأهل

عصره إلى أوج العهد النبوي وإحياء ذكر الآخرة وسرعة الاندفاع في طلاق الدنيا والدنية وكالشهاب الثاقب في الصعود إلى المعالي الروحية والتحرر من أسر الأطماع النفسية والحرص الغريزي وحبس الشهوات والهوى إلى رحاب الخلاص في الخلوص من حب النفس واللّذات.

الفرق بين المعسكرين:

إن المشهد النفسي والروحي في واقعة كربلاء المتمثلة في شخصيات المعسكرين، عندما تتمثل للإنسان كشريط مسجل مرئي (فيلم) نشاهده في الخاطرة، وشدة الامتحان النفسي في الجانبين لا سيما مع المراهنة بين الهوى والميول النفسية مع أصل الدين الذي يمثله الحسين عليه السلام من وجود النبي صلى الله عليه وآله الذي هو أصل الدين الذي ارتدّ الناس عنه بقتل الحسين عليه السلام شحن مجمع الرذائل النفسية في المتمثل في معسكر بني أمية وشحن مجمع الفضائل في معسكر أهل البيت عليهم السلام.

وبعبارة أخرى حضيض النفس في المعسكر الآخر، وأوج النفس في معسكر سيد الشهداء، فدوام ذكر هذا المشهد بتفاصيله وبأمثلته الكبيرة التي تتعرض إلى جهات عديدة في النفس البشرية تعطي للإنسان عبرة عن الوقوع في المستنقعات الكثيرة لدى النفس.

السر الثالث: طاعة أولي الأمر أو المعصية:

وهو أن الله عز وجل قرن طاعة رسوله ﷺ بطاعته في عشرات الآيات ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[١] كما أنه في آية من الآيات قرن الله تعالى بطاعته وبطاعة النبي طاعة أولي الأمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢] وكما بينا في بحوث سابقة أن (الأمر) هو الذي يتنزل في ليلة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[٣].

وكما في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[٥].

وهذا ـ الأمر ـ نفسه هو الروح الأمري الذي ذكره تعالى في سورة الشورى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[٦].

فعالم الأمر يعني عالم الإبداع وعالم الملكوت فأولي

---

(١) سورة المائدة: ٩٢.
(٢) سورة النساء: ٥٩.
(٣) سورة القدر: ٤.
(٤) سورة النحل: ٢.
(٥) سورة الدخان: ٣ـ٥.
(٦) سورة الشورى: ٥٢.

الأمر ليس معناه دائرة صغيرة والتي هي الشؤون العامة السياسية، بل العالم الملكوتي يشمل الأرض وما عليها وبقية عوالم الخلقة، وليس محبوساً ومقتصراً على الشأن السياسي بل يشمل ساحات وميادين وبيئات أخرى كثيرة.

ومن خلال هذا يتضح أن الله تعالى أمر بطاعتهم المطلقة والمقترنة بطاعة الرسول ﷺ، وطاعة الرسول ﷺ مقترنة بطاعته سبحانه وتعالى، وهذا يعني أن هناك رديف تبعي لطاعة الله بطاعة الرسول ﷺ، ورديف تبعي لطاعة الرسول بطاعة أولي الأمر، وهذه طاعة عظيمة الشأن وهي تستدعي انقياد تام من الإنسان لأصحاب ولاية الطاعة، بل جعل الله تعالى مودة وقربة النبي ﷺ أجر رسالته ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1].

فهذه معادلات وحلقات واضحة في أن الروح الأمري ينزل على من هم أصحاب القرآن في الكتاب المكنون أو في اللوح المحفوظ وهم المطهرون ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾[2] وهم أصحاب الكتاب الذي هو الأمر الذي يتنزل ليلة القدر والذي ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) سورة الواقعة: ٧٩.

فهؤلاء المطهرون الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ﷺ سوف ينقاد الإنسان إلى طاعتهم وولايتهم عندما يتعرف على المزيد من فضائلهم ومصائبهم بشكل رتيب راتب، وكلما قلّت معرفة الإنسان بفضائل أهل البيت عليهم السلام وبمدى مقاماتهم في المحن والابتلاءات كلما صار انقياده إليهم أقل وبالتالي سوف يعصي الله في عدم الطاعة بالانقياد المطلق.

طاعة أولي الأمر طاعة الدين:

فـ ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أي أطيعوا الله في كل الدين، وكذلك إطاعة الرسول ﷺ في كل الدين أعم من القضاء والتشريع وأعم من السلطة التنفيذية، بل في كل الدين بما للدين من سعة التي تعمّ الدنيا والآخرة.

وبما أن طاعة أولي الأمر مقرونة بطاعة رسول الله ﷺ فأيضاً كذلك أولي الأمر طاعتهم هي طاعة الدين بما للدين من سعة، ومن هنا فلا ينقاد الإنسان إلى مثل هذه الطاعة الشديدة والمهمة إلا إذا عرف المزيد من فضائلهم، ولا ينجذب إليهم إلا بالمزيد من معرفة محنهم ومصائبهم، فكثرة ذكر سيد الشهداء عليه السلام ومصائبه ومحنه وفضائله ومقاماته توجب جذب الإنسان إليه وبالتالي سوف يطيع الله تعالى ورسوله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ذريته عليهم السلام والذي هو الانقياد للدين كله.

وبقدر ما تنقص معرفة الإنسان بالحسين عليه السلام وبأهل بيته بقدر ما ينقص انقياده اتجاههم عليهم السلام.

عن عبد العزيز القراطيسي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة ومن أقاويلهم، فقال: يا عبد العزيز الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم له عشر مراقي وترتقى منه مرقات بعد مرقات، فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء، ولا يقولن صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيء حتى انتهى إلى العاشرة قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة، يا عبد العزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رفيقاً فافعل، ولا تحملن عليه ما لا يطيقه فتكسره فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره، لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته[1].

فإن سلمان رضوان الله عليه انقياده لأمير المؤمنين عليه السلام أشد من أبي ذر رضوان الله عليه.

إذن هذا المقام الكبير إنما يصل الإنسان إليه بسبب كثرة وشدة ذكره لهم صلوات الله عليهم، وهذا لا يحصل إلا

(١) الخصال للصدوق: ٤٤٨.

بـ (السلام عليك يا صاحب المصيبة الراتبة) يعني الرتيبة كل ساعة وكل آن وكل يوم وليس كل موسم مثلما نقول الراتبة يعني الراتبة والدئيبة والدؤوب.

السر الرابع: زائر الحسين يعيش همّ المستضعفين:

إن الإنسان تكون خواطره دائماً وقلبه يحوم حول اهتمامات المعيشة أو حول اهتمامات ذاته من أن هذا آذاني أو يبغضني أو هذا يحبني، والمهم أنها تدور حول الأنا التي نسميها بالأنانية أو فرعونية الذات أو النفس، وإذا ترك الإنسان هكذا فسوف يعيش هموم نفسه ليلاً ونهاراً، ولكن إذا تعلّق الإنسان وانجذب في سيد الشهداء عليه السلام أكثر وعاش همّ الحسين لا همّ نفسه وكان هذا الانجذاب بحب وبشفافية فسوف يعيش همّ الحسين عليه السلام وليس همّ نفسه من أنه كيف ظلم، ومتى ينتقم الله تعالى له، ومتى ينجز الله وعده على يد الحسين عليه السلام أو ولده المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ويقيما دولة العدل وهكذا.

إذن هناك فرق بين هذين الهمّين اللذان هما همّ نفسه وهمّ الحسين عليه السلام فإذا عاش هم الحسين عليه السلام فبالتالي سوف يعيش همّ الدين، وهمّ علوّ كلمة الإسلام، علوّ كلمة الإيمان، علوّ كلمة الحق والعدل، علوّ نور أهل بيت النبوة، فأين هذا الهمّ بالقياس إلى همّ الإنسان المتقوقع والمتقزم في دائرة نفسه.

فإن كثرة ذكر سيد الشهداء عليه السلام يرقي الإنسان من حضيض أنانية النفس إلى أوج أهداف الدين النورانية، ومن أقصر الطرق لطيران الإنسان في همّه من حضيض نفسه إلى أوج نور الإيمان والولاية هو إنجذابه للحسين عليه السلام وبالتالي سوف يورث الخلوص والإخلاص العظيم الموجود في الإنسان ويحرره من هذه التعلقات النفسانية التي في ذاته، وهذا السر نراه في مشاية زيارة الأربعين، فإنهم - لا أقل في زيارة الأربعين - يخرجون من كونهم بشراً إلى ملائكة خلقاً وأدباً وإيثاراً وتسامحاً. لأنهم يعيشون همّ الحسين عليه السلام بدل أن يعيشوا همّهم وهذا مما يقلب ويصهر جوهر ذاتهم إلى الفضاء الرحم النوري والأخروي الإلهي بتوسط الحسين عليه السلام فلا تحدث أي حادثة في طريق الحسين عليه السلام لأن الحادثة إنما تقع متى ما كانت النفوس ضيقة وحريصة وذات أطماع، أما إذا كانت تلك النفوس عالية الهمّة فلا يحدث بينهما أي اصطكاك أو عراك.

ومن هنا سوف يكون الحسين عليه السلام قبلة وكعبة القلوب وليس قبلة الأبدان، فإن طافت القلوب بهذه المصيبة الراتبة وطافت حول كعبة روح الحسين فهي قد وصلت إلى الله عز وجل كما روي عن أبي الحسن

الرضا عليه السلام «من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشط الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه»[١].

لأن الحسين عليه السلام هو متفاني في الله عز وجل وذائب فيه، فمن يذوب في من ذاب في الله عز وجل فسوف يذوب في الله عز وجل، ومن يفد على الحسين عليه السلام فهو يفد على الله عز وجل لأن سيد الشهداء سوف يوصله إلى الساحة الإلهية، وبالتالي سوف يعيش همّ الدين وهمّ المظلومين وهم المستضعفين وهمّ المحرومين.

السر الخامس: كتاب اسمه الحسين

إن الله عز وجل قدر أن يكون الحسين عليه السلام مصدراً وملجأً ومركزاً ليس لإصلاح المؤمنين فقط بل لعموم البشر ومن ثم قدر أن عَلَمه يبقى على مدى الأيام يرفرف على كل المظلومين والمستضعفين كما صرّحت بطلة كربلاء عليها السلام بذلك وهي تخاطب سيد الساجدين عليه السلام ... وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلا علوّاً..»[٢].

---

(١) كامل الزيارات: ٢٧٨.

(٢) كامل الزيارات: ٢٢.

وهذا معناه أن الباري لكي يستصلح البشرية في مرحلة الإصلاح والاستصلاح في طريق الكمال لا بُدَّ أن تمر في مدرسة الحسين، ولا بُدَّ أن تتعرّف كل البشرية على سيد الشهداء عليه السلام لتعلم أن هناك حلّ بين جذبات وغرائز النفس الخسيسة النازلة وبين إمكانية التغلّب على كل هذه التعلّقات في أي ظروف وفي أي بيئات إلى الطيران نحو نور الكمال ونور الصلاح والإصلاح والفضائل، وهذا مثل إلهي عظيم أراد الله أن تبقى شجرة زيتونة مباركة كنور لجميع البشرية، ولذلك لا بُدَّ أن يبقى ذكر الحسين عليه السلام يعبأ ويشحذ بصورة أكثر وأكثر حتى يصل شعاعه إلى كل البشرية، فلا يخمد ولا يطفأ ولا يحجب.

فهذه التعبئة وهذا الشحذ الكبير حتى من المؤمنين التي نظرتهم ضيقة وأفقهم ضيق وإن كانوا ينجذبون في واقعهم إلى الحسين عليه السلام ولكن في بعض الأحيان تخالجهم هذه الأمور الضيقة، وهو لا يدري أن هذا العَلم قد قدّر الله له أن يرفرف على كل البشرية كما في راية الحسين عليه السلام، ورايـة ظهور المهدي عجل الله فرجه الشريف لأنها راية نبراس تستضيء به نفوس البشر ودول البشر كلها لاستصلاحهم، فليس في التقدير الإلهي أن الحسين يستصلح مقتصراً على فئات قليلة في بلدان الشرق الأوسط بل قدّر الله تعالى أن يكون الحسين عليه السلام مصلح لكل البشر حتى قبل ولده الموعود المنتظر عليه السلام فإنه من الطبيعي أن الله لا يخمد

هذا العلم بل كل يوم يزداد اتّساعاً وتعبئة ليصل صداه وتصل هذه النعمة العظيمة لكل العالم كمأدبة نورية تستضيء بها البشرية بأجمعها، إذ إنه إلى الآن لم تصل إلى كل البشرية، فنحن إلى الآن لم نقم بحق ما تستحقه هذه الشجرة النورية بكل أغصانها من إعلام ومن إحياء ومن فضائل مجلجلة ومن روح نورية جذابة، فالمفروض أن يشاركنا كل البشر في التنعم بها، وإلا فنكون نحن سبب من أسباب حرمانهم.

ولهذا فإن البشرية إذا أرادت أن تتكامل وتسعد فلا بُدَّ لها أن تقرأ كتاب اسمه الحسين عليه السلام، ولا بُدَّ أن تتعلم في صف اسمه الحسين عليه السلام ولا بُدَّ أن تمرّ بمرحلة من مراحل فكرها وعقلها وروحها بمرحلة اسمها الحسين عليه السلام حتى تصل إلى الحسن ثم فاطمة ثم علي ثم رسول الله صلى الله عليه وآله الذين هم رأس الخيمة لمشروع الإمام المهدي عليه السلام.

أرواحكم في الأرواح:

فإن كل روح لها علاجات، وكل بدن له علاجات وقد قدّر الله عز وجل أن تكون حقيقة الحسين عليه السلام بما فيها من جمال وكمال وفضائل هي من العلاجات التي (أرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس وأجسادكم في الأجساد)[1].

(١) بحار الأنوار ج٩٩: ١٠٧ دعاء الندبة والزيارة الجامعة.

وهـذا يعني أن كل نفس لا بُـدَّ أن تتغذى بهذا المنبع الروحي، وإلا فلن يكون للنفس توازن، وبصيرة ونور وتكامل، وهذا شبيه ما هو موجود في علم الرياضيات حيث إنه لا يمكن أن يتخطى أي مرحلة من المراحل التي قبل ذلك لأن كل مرحلة قوام في علم الرياضيات، والنفس في علم الفطرة هكذا، فلا بُدَّ لهذه الأنوار الخمسة التي أكد عليها القرآن في سورة النور أن تضيء لكل فطرة روحية، ولا بُـدَّ أن تتلقاه وإلا فلا يمكن أن تتوازن ولن تسعد ولن تتكامل ولن تصل إلى الفضائل فإن مصباح الهدى وسفينة النجاة ليس لمجتمع خاص بل لكل البشرية ولكل الأجيال، وهذا ما صرّح به النبي صلى الله عليه وآله «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»[1]، ومعنى هذا أن الله أعظم الحسين عليه السلام أن يقتصر ويكون لقرن أو قرنين من الزمن، أو لمنطقة الشرق الأوسط بل قدر سبحانه وتعالى أن يكون هذا عطاء منه لكل البشر (فلا يزداد أثره إلا علوّاً).

الحسين هو القرآن المتجسد في واقعة كربلاء:

إن استعراض واقعة عاشوراء عبارة عن استعراض مشهد مرئي أمام الإنسان، حيث يرى فيها امتحانات وتجارب وأمثلة كبيرة، وكيف أن النفوس سقطت بأسباب مختلفة وبسبب فتن

(١) مدينة المعاجز ج٤: ٥١.

وقوى نفسانية مختلفة، وفي المقابل كيف نجحت نفوس أخرى وصعدت واعتلت.

إن هذا المشهد النفسي والروحي الذي فيه العشرات بل مئات النماذج هي مدرسة تربوية للإنسان بشكل عميق جداً، ولذلك فإن الإنسان يحتاج دائماً إلى هذا القرآن المتجسّد في واقعة كربلاء، حتى يتلوه ويحفظه ويذكر به نفسه لأنه فيه آيات كثيرة، فكل واقعة آية، وكل حدث في كربلاء آية، وهذا ليس صدفة إذ قد جعل الله عز وجل الإمام قرآناً ناطقاً بل هو قرآن عيني، وبالتالي فكل ما يدور حوله هو آيات وسور وإذا أردنا أن نلمس بشكل مرئي محسوس للآيات القرآنية وللسور، والبنود التي فيها هي في واقعة الطف، التي بدأ مشوارها من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء ثم إلى الشام ثم إلى كربلاء ثم المدينة.

وهذه المسيرة هي عبارة عن صفحات عديدة من القرآن أو من الآيات والسور، وإذا تدبرنا فيها مليّاً ومرة بعد أخرى فسوف نجد فيها كنوزاً وخزائناً لا تنفذ، والكثير منّا لاحظ هذا الأمر أن كل إنسان إذا تدبّر في واقعة عاشوراء كل سنة فسوف يكتشف ويقف فيها على عِبر وأسرار لم يلتفت ويتفطن إليها من قبل كما هو الحال في القرآن الكريم.

فإن القنوات الفضائية في العالم كلها احتشدت في أول

أربعين بعد سقوط النظام البعثي، حيث كان في انطباعهم أن هذه المسيرة وهذا التجمع الملايييني هو حدث سياسي مرتبط بخصوص تشكيل النظام الجديد وليس له أي مساس عقائدي، كما يفعلون في المهرجانات البشرية السياسية العادية، وما نقلوه وسجلوه في خلال ثلاثة أيام من مشهد الأربعين أصبحوا في ذهول وإعجاز وإعظام وإكبار لقضية عاشوراء وشخصية الحسين عليه السلام، حتى أن بعض الأخوة رصد الكثير من الفضائيات الدولية وخصص بعض المراسلين للحكاية عن واقعة عاشوراء أو الأربعين الشيء المذهل ولقطات مثيرة في نشر حقائق واقعة الحسين، وهذا كله يفرح قلوبنا بصدق الوعد الإلهي ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1].

الشعب يريد الحسين:

ولو أردنا أن نسرد جملة من الوقائع التي نقلها بعض الأخوان وبوسائط قليلة عن أحداث أو نخب في البشر متأثرة بسيد الشهداء لضاق بنا المجال، ولكن الحسين عليه السلام نور وبركان يسري تحت السطح، وسوف يأتي ذلك اليوم الذي

(١) سورة التوبة: ٣٢ـ٣٣.

تصل فيه البشرية إلى مستوى الوعي وبدل أن يقول الشعب يريد إسقاط النظام الجائر والظالم سوف يهتف ويقول الشعب يريد الحسين والشعب يريد المهدي.

لأن كل البشرية سوف تعلم أن أساس العدل متجسّد كله في الحسين، والسعادة متمثلة بالحسين عليه السلام فإنهم أيقنوا أن الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية والحرية الجنسية وشعار العدالة حسب النظم والتقنيات البشرية والمساواة كلها آلت إلى السقوط وفشلت كل أنظمتها، فإذا وصل الوعي البشري إلى أن الحرية والعدالة المأمولة المطموح لها هي برنامج خزنه الله في حاسوب إلهي وهو الحسين عليه السلام. فإن العدالة الحسينية لا توجد في كتاب ولا في رسالة أو أطروحة الجامعات ولا توجد في مراكز الدراسات ولا المختبرات ولا في أطروحة عقول البشر، بل نظام العدالة موجود فقط في علوم الحسين عليه السلام.

الإمام الحسين والرجعة:

وهناك نقطة مهمة قد غفل عنها الكثير، وهي كما نحن نطالب ومأمورون بالفرج لظهور الإمام المهدي كذلك نحن مطالبون في أن نطلب وندعو من الله بظهور الإمام الحسين عليه السلام نفسه ليرجع بعد ابنه المهدي عجل الله فرجه الشريف ليقيم الله

العدل في الأرض على يديه عليه السلام، وهذا في الحقيقة نوع ومرحلة من الرجعة.

فالرجعة عبارة عن أن الشعوب والطبيعة البشرية إذا وصلت إلى ذلك الوعي فسوف تطلب وتريد وتطمح إلى ذلك العدل الذي برمجه الله تعالى في الحسين عليه السلام وهذا البرنامج غير موجود وغير محتفظ في عقل آخر، ولا في روح أخرى، ولا في أي قائد آخر، فإن العدل الذي يظهر على يد سيد الشهداء عليه السلام أعظم من العدل الذي يظهر على يد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف حسب ما صرّحت بذلك روايات أهل البيت عليهم السلام.

فعن رفاعة بن موسى قال: إن أول من يكرّ إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه، ويزيد بن معاوية وأصحابه، فيقتلهم حذو القذة بالقذة ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن أول من يرجع لجاركم الحسين عليه السلام فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر»[2].

(١) سورة الإسراء: ٦، تفسير العياشي ج٢: ٢٨٢.
(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٢٨.

وأيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام سأل عن الرجعة أحق هي؟ قال: نعم فقيل له: من أول من يخرج؟ قال: الحسين عليه السلام يخرج على أثر القائم عليه السلام، فقلت: معه الناس كلهم؟ قال: لا بل كما ذكره الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[1] قوم بعد قوم[2].

فإن عقيدة الرجعة هي فهم أعمق لمعرفة الحسين عليه السلام فـ «من زاره عارفاً بحقه»[3] أحد درجات معرفة الحسين عليه السلام هو الحسين المستقبل وليس الحسين الماضي فقط.

برنامج المعصوم أمل البشرية:

إن البشرية الآن بدون انقيادها للمعصوم عاجزة أن تبدي أي برنامج اقتصادي عادل تنظيراً فضلاً عن التطبيق والتنفيذ والإجراء العملي، وعاجزة عن أن تبدي نظام بنك مركزي عادل، أو نظام زراعي عادل بحيث لا يظلم فيه بيئة عن بيئة لأنهم إذا أرادوا أن ينموا بيئة ففي مقابل ذلك يدمرون بيئة أخرى.

فنظام البيئات المحيط بالإنسان الطبيعية كثيرة فضلاً عن نظام النقد العادل، نظام حقوقي عادل، نظام سياسي عادل، بتمام

---

(١) سورة النبأ: ١٨.
(٢) المصدر السابق: ٤٨، الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة: ٣٣٨.
(٣) كامل الزيارات: ٢٦٢ـ٢٧٨.

معنى العدالة، نظام أمني عادل، نظام كمركي عادل، نظام إعلامي عادل، كل هذه الأنظمة ولو تنظيراً قد عجزت البشرية عنه تماماً إلى حدّ هذا اليوم وهذا القرن.

ومن باب المثال الأزمة المالية في أوروبا الآن ما يقارب ثمان سنوات عاجزة البشرية عن حلها ولو تنظيراً فضلاً عن التطبيق، وهذا دليل واضح معجز على التحدي في الآية الكريمة من أن العدالة لم ولن ولا تتحقق إلا على يد قربى النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته عليهم السلام المطهرين: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

واللام هنا ـ أي في الآية الكريمة ـ هي لام ملكية الإدارة والولاية في التصرّف وليست الملكية الشخصية بل ملكية الإدارة لتصرف على الطبقات المحرومة (كي لا يكون دولة بين الأغنياء).

فالعدالة لا تتمّ في كل أرجاء الأرض إلا بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ولذلك هذا البرنامج ـ برنامج العدالة ـ مودع في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ومودع بشكل أعظم في الإمام الحسين عليه السلام

(١) سورة الحشر: ٧.

فإذا وعت البشرية كما يقول البروفسور الألماني (يوخن روبكا)[١] إلى ما تطمح وترغب وتتطلع إليه هو هذا الرجل المهدي وآبائه عليهم السلام.

الإمامة في ذرية الحسين عليه السلام:

عن محمد ابن مسلم قال: سمعت أبا جعفر، وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان:

إن الله تعالى عوض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تُعدّ أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره[٢].

إن شدّة المحنة التي ابتلي بها الإمام الحسين عليه السلام في الطف جعل الله عز وجل الأئمة من ذريته، فنور تسعة من المعصومين لا سيما المهدي عجل الله فرجه جعلهم الله من نسل الحسين عليه السلام جزاءً لما ابتلي به عليه السلام في واقعة الطف كما في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث حيث قال: «.. وخلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه من قبل أن يخلق الله تعالى سماء مبنية وأرضاً مدحية..»[٣]، وهذا يبين أن حمل

---

(١) رئيس جامعة قسم الاقتصاد في جامعة مالبورن الاسترالية.
(٢) الأمالي للطوسي: ٣١٧، بحار الأنوار ج٤٤: ٢٢٤.
(٣) مصباح الشريعة: ٦٤.

نور تسعة من الأطهار يتطلب وصوله عليه السلام إلى مقام خاص، وهذا المقام الخاص ضريبته هو الشهادة التي فيها محن عظيمة وليست أي شهادة، وهذا مقام خاص لسيد الشهداء حتى أصبح أبو الأئمة لعظم وشأن خطورة مقام الإمامة.

إذن مقام الإمامة يتطلب براءة من كل الطغاة والجبابرة وطريق الانحراف، لأن حمل الإمامة لها أرضية وهو نوع القطيعة من الظالمين والمنافقين والرجوع إلى الفطرة الإلهية العظيمة.

قبة السماء الحسينية والتربة الروحية:

ولم يجعل الله عز وجل الذرية الطاهرة من صلبه عليه السلام فحسب بل جعل استجابة الدعاء تحت قبّته، وليس المراد من هذه القبّة القبّة الطينية بل قبّة السماء من عند قبره حتى شعاع منتهى البصر في الأفق وتلاقي السماء والأرض، بل بمعنى أنه عند الاقتراب من سيد الشهداء لا يكون هناك حاجب من الجبت والطاغوت أو من جبابرة الخلق بل هناك شفافية خاصة عنده بالاتصال بالساحة الربوبية، فطريق الحسين هو طريق حصد الطغاة والجبابرة. فإن الجبت ـ كما في اللغة ـ هو نوع من الجدران الكثيفة، وهذه الجدران أو السدودات التي تكون عقبة وحاجب عن الوفود على الله تعالى كلها تحصد في طريق

الحسين عليه السلام من خلال استجابة الدعاء تحت قبّته عليه السلام ومن ثم فإن تلك البركات السماوية سوف تنزل بعد كسر هذه الموانع الفرعونية وموانع الشرك بالله.

وهذا ليس فقط في استجابة الدعاء بل حتى الشفاء في تربته، ولا نقصد بهذه التربة الجغرافية فحسب بل حتى التربية المعنوية والروحية والتي هي بمعنى الاقتراب من سيد الشهداء عليه السلام فاستجابة الدعاء تحت قبّته عليه السلام يعني قبول مطلق العبادات، والشفاء في تربته عليه السلام يعني نزول البركات وكل ذلك جاء عن طريق سيد الشهداء:

ومن كل ما تقدم يتضح أن العقائد وقبول الأعمال مشروطة بإمامته وولايته حيث إن من أصول العقيدة هي الإمامة والذرية من صلبه وكذلك قبول الأعمال، وأما الدعاء الذي تحت قبّته فهذا ينبئ عن أن أعمالنا مشروطة بولايته عليه السلام.

لماذا لم يخرج الحسين بمفرده:

هناك إثارة تطرح بين الحين والآخر، وهي أنه لماذا خرج الإمام الحسين عليه السلام بمعية عياله من الأطفال والنساء ولم يخرج بمفرده وهو يعلم بأن الشهادة لا محال منها.

إن فلسفة وسرّ ذلك أكثر من وجه كما ذكر أكثر من واحد،

وقد أجاب عن ذلك الإمام الحسين عليه السلام نفسه عندما سأله محمد بن الحنفية فأجاب عليه السلام: «إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»[١].

ولكن أحد الأسباب المهمة هو أن سيد الشهداء عليه السلام يجسّد للبشرية عبرة وقدوة وأسوة، فإن كل إنسان له تعلقات عديدة في حياته الدنيوية من قبيل التعلّق بالزوجية والتعلّق بالأولاد والتعلّق بالأخوان والتعلّق بالأصحاب وبالأحبة وبالعشيرة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾[٢].

فكل هذه التعلّقات كانت موجودة في واقعة الطف ومع هذا يقدم الحسين على الشهادة ولا تعيقه أبداً بل جندها وعبدها ووظفها وفداها لطريق الدين.

فأخذ عيالاته وكل حرمه عليه السلام في عرصة كربلاء وعرصة المواجهة، واضح أن كل هذه الأمور لا تقف جبل أو عقبة أمام استبسال سيد الشهداء عليه السلام بل وظّفها في سبيل الله، وهذا غير

(١) اللهوف: ٦٤، البحار: ج٤٤: ٣٦٤.
(٢) سورة التوبة: ٢٤.

أنه يستشهد بنفسه فقط، فهناك فرق كبير بين أن تستشهد بنفسك وبين أن تأتي بكل شؤون نفسك الأخرى وما لديك وتفديه وتخاطر به إلى آخر لحظة من حياتك.

وليس ما لديك من مال وبنين بل بما لديك من مريدين ومحبين وأولياء، وهذا يعني أنك تفدي وجودك المعنوي الذين يحملون اسمك في المجتمع تفديهم في سبيل الله وهذا هو الموقع السياسي والموقع الاجتماعي كل هذا وذاك لم يكن عائقاً لفداء سيد الشهداء إلى الله تعالى.

وبسبب كل ذلك أصبح الحسين عليه السلام مدرسة وجامعة وكتاب جامع في صفحات الشباب وصفحات الأولياء والمريدين والتابعين، يعني صفحات تتصفح في كل صفحة ففيها دروس وعبر لشريحة من شرائح المجتمع، ولذا نرى جميع شرائح المجتمع ينجذب لسيد الشهداء عليه السلام شاء أم أبى.

الحور العين من نور الحسين عليه السلام:

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... وفتق نور الحسين عليه السلام وخلق منه الجنان والحور العين، والحسين والله أفضل من الجنان والحور العين...»[1].

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين (×)الشاذان بن جبرئيل القمي: ١١٣.

فهناك تناسب في عالم الخلقة والتكوين، فحور العين مما تزين بالجمال وهذا يعني أن رشحة من رشحات جمال نور الحسين خلقت منه الحور العين بل كل جمال عالم خلقة الآخرة، وهذا الجمال خزنه الله في الحسين وكما في بعض الروايات أن الحسن والحسين قرطي العرش.

وفي بيان لسيد الأنبياء يضيف أن الحسن والحسين أكرم الناس نسباً حيث روى الأعمشي أن النبي ﷺ أتى باب المسجد فقال: يا بلال هلم عليّ بالناس فنادى منادي رسول الله ﷺ في المدينة فاجتمع الناس عند رسول الله ﷺ في المسجد فقام على قدميه فقال: «يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة، قالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن جدهما محمد وجدتهما خديجة بنت خويلد، يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً، فقالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن أباهما علي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وأمهما فاطمة بنت رسول الله.

يا معاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس عماً وعمة، قالوا بلى يارسول الله، قال: الحسن والحسين فإن عمهما جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنة مع الملائكة، وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب، يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة، قالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن

خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله ﷺ ثم أشار بيده هكذا يحشرنا الله، ثم قال: اللَّهم إنك تعلم أن الحسن في الجنة والحسين في الجنة وجدهما في الجنة وجدتهما في الجنة وأباهما في الجنة وأمهما في الجنة وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة، اللهم إنك تعلم أن من يحبهما في الجنة ومن يبغضهما في النار»[1].

فإن كل الذي يحيط بالحسين جمال ونور، وهذا مثل نواة الزهرة، وهذا الجمال والنور أودعه الله في الحسن والحسين عليهما السلام.

وهذا الجمال في الحسين عليه السلام هو الذي يبين لنا السبب في انجذاب أهل بيته وأصحابه إليه فوق الميل العقلي المعتاد أي درجة الربيون وهكذا كل جيل بشري سبق زمانه واقعة الطف أم تأخر من الأجيال اللاحقة وهو الذي يفسر هذه القدرة المعنوية على جذب الملايين من البشر في الأربعين وغيرها من المواسم على بذل الغالي والنفيس لأجل الحسين عليه السلام في سبيل الله، والذي يفسّر جذب الشهداء للاستشهاد في سبيل الله عندما يهتف بهم لبيك يا حسين.

---

(١) آمالي الصدوق: ٣٥٦ (المجلس السابع والستون).

فالحسين يجعل الموت والقتل ـ الذي له مرارة وخوف ـ له حلاوة ولذة.

أصحاب الحسين سادة الشهداء:

وليس الأمر يقتصر عليه عليه السلام وإنما أصحابه لهم منزلة وانجذاب فضلاً عنه عليه السلام فقد ورد نعتهم بسادة الشهداء كما في الزيارة الواردة عن المعصوم «**أنتم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة**»[1] فما هو سر ذلك؟!

إن محنة الاستضعاف في ملحمة الطف كانت محنة شديدة، لأن احتمال الظفر والنصر كان ضئيل جداً، ولم تكن المحنة في أنفسهم فقط بل محنوا في أولادهم ونسائهم وممتلكاتهم، فكان الجميع يعلم أن نسائهم سوف تسبى وتسجن كبقية حريم الحسين عليه السلام وكذلك أولادهم وشملهم سوف يشتت، ودورهم سوف تصادر وتحرق وهذا كل ما يملكونه سوف ينسف تماماً. فهم عاشوا أيام عديدة لهذا الامتحان وأما الباقين فهم منكفؤون على أنفسهم، فمن لم يكونوا أعداء وشاركوا في معسكر بني أمية وعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد فهم لا أقل متخاذلين ومنكبين على أنفسهم، وكان بعض هؤلاء من الصحابة والتابعين ومن الأسماء اللامعة. بينما

(١) كامل الزيارات: ٣٦، الباب: ٧٩، الكافي ج٤: ٥٧٤.

أصحاب الحسين عليه السلام عاشوا همّ طلاق الدنيا وليس في لحظة من اللحظات وإنما لعدّة أيام، فتارة الإنسان يستشهد فجأة فهو يرى الحدث لحظات ثم يقتل، أما هنا فالأمر مختلف تماماً فهم عاشوا الشهادة لأيام وأسابيع لأن قائدهم بشرهم ونبأهم بكل ما يجري عليهم وعلى عيالاتهم وتراهم يجيبون إمامهم بقولهم: (والله لا نخليك، حتى يعلم الله إنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو علمت أني أقتل، ثم أحيى، ثم أحرق حياً ثم أذر ويفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك)[١].

والآخر يقول: (والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا قتلنا كنا قد وفّينا وقضينا ما علينا)[٢]. بل كان لديهم اندفاع ونشاط وحيوية، ولم يصبهم أي زلزال أو اضطراب أو تملل نفسي وهذا هو العلوّ في همّة النفس ونجابتها.

بل حتى نسائهم كانت لهن هذه الامتحانات التي بدأت قبل محرم إلى ما بعد عاشوراء التضحية والفداء، فإن دعم هذه النسوة يزيد في الهمّة والقوة للرجال.

إذن سؤدد شهداء الطف سببه هذا الامتحان الطويل وفي

(١) ابن كثير ج٨: ١٧٧، وابن طاووس في اللهوف: ٣٦.
(٢) المصدر السابق.

كل ميادين النفس ولم تكن لهم شهادة بأبدانهم ودمائهم فقط بل شهادات علوّ نفساني وفي ميادين كثيرة من فضائل النفس، فليس جهادهم كباقي الجهاد كما في شهداء بدر فقد وعدهم الله بالنصر الدنيوي ولكن في شهداء الطف عاشوا شدّة الاستضعاف أي الذي يعبر عنه بالقتل التدريجي ونراهم يتمنون القتل ألف مرة ليس فداءً لسيدهم الحسين عليه السلام فحسب بل لما دونه لأهل بيته كما يقول زهير بن القين (والله لو وددت أني قتلت ثم نشرت، ثم قتلت، حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك)[1].

زوار الحسين عليه السلام ينشغلون بجماله عن الحور العين:

إن أساس العلاقة التي بين أولاد الحسين مع الحسين، وأخوة الحسين مع الحسين، وأصحاب الحسين مع الحسين هي الحب، وهذا ليس قصة تكليف، ولا قصة استجابة عقلية، فإن كل أحداث عاشوراء لا نستطيع تفسيرها بأنها دعوة عقلية لطاعة سيد الشهداء عليه السلام لأن هذه الطاقة لا تتولد من العقل ولا من القلب ولا من التكليف «**ما عبد تك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك**» لأن بعض الأفعال التي تصدر ممن يحيط بالحسين عليه السلام

(١) الإرشاد للمفيد: ٢٣١، تاريخ الطبري.

لا تفسّر خوفاً من النار ولا طمعاً في الجنة التي هي دعوة العقل، بل لا تفسّر إلا (وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)[١].

وهذا هو الحب، فإن الحب له هذه الطاقة وهذه الحركة، أما حركة قوة التكليف فأقل من ذلك بكثير، ولذلك يقولون الطف حركة حب وليست حركة عقلية بل فوق قوة حركة التكليف والعقل، ولذلك نرى أن زوار الحسين عليه السلام يوم القيامة ينشغلون بالنظر إلى جمال وجه سيد الشهداء ويتركون أزواجهم من الحور العين حتى تجزع تلك الحور من الانتظار.

فعن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام أنه قال: يا زرارة ما في الأرض مؤمنة إلا وقد وجب عليها أن تسعد فاطمة عليها السلام في زيارة الحسين عليه السلام، ثم قال: يا زرارة أنه إذا كان يوم القيامة جلس الحسين عليه السلام في ظل العرش، وجمع الله زوّاره وشيعته ليبصروا من الكرامة والنضرة والبهجة والسرور إلى أمر لا يعلم صفته إلا الله، فيأتيهم رسل أزواجهم من الحور العين من الجنة فيقولون: إنا رسل أزواجكم إليكم؛ يقلن: إنا قد اشتقناكم وأبطأتم عنا، فيحملهم ما هم فيه من السرور والكرامة على أن يقولوا لرسلهم: سوف نجيئكم إن شاء الله[٢].

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٤: ٦٧, ١٨٦

(٢) نوادر علي بن أسباط:١٢٣ المطبوع ضمن الأصول الستة عشر، بحار الأنوار ١٠١ :٧٥، مستدرك الوسائل ١٠ :٢٢٨ ـ ٢٢٩.

وهذا يعني أن التعلق بالحسين عليه السلام فوق قدرة التكليف العادي وفوق قوة قدرة العقل ولذلك من أعظم صفات سيد الأنبياء أنه (حبيب الله) وهذا لم يناله أحد من أولي العزم وغيرهم.

وبعبارة أخرى في بعض الخطوات جهنم ليست لها أي قدرة داعوية، وكذلك الجنة بأكملها ليست لها قدرة داعوية باعثية محركية للإنسان أن يخطوها، ولكن الذي خطى كل هذا هو من يحيط بسيد الشهداء عليه السلام لأن عالم النور أعظم تأثيراً في النفوس جذباً وتحريكاً من عالم الجنان وعالم النيران. ولذلك يترك زوّار الحسين عليه السلام الحور العين لأنهم يرون نور الحسين عليه السلام أبهى من الجنة فكيف يتركوه «ما عبد تك طمعاً في جنتك بل وجدتك» وكرّر وجدتك وجدتك، «فما الذي فقد من وجدك وما الذي وجد من فقدك» الوارد في دعاء الحسين عليه السلام في عرفة، ففي قوله عليه السلام «فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ وأوصل من أهل بيتي...» فما الذي جذبهم إلى الحسين عليه السلام وهم تيقنوا أنهم سيقتلون ويقطعون؟!

إن الذي جذبهم هو نور الحسين عليه السلام والتي هي أكثر قدرة جاذبية من الجنة، وأكثر قدرة محركية من فوق النيران. ولذلك فإن كل طبقة من طبقات المجتمع وكل شريحة من شرائحه وكل

سن وعمر من أعمار الإنسان يجد نسخة كمال له متناسبة ومتناغمة في كتاب كربلاء، وكتاب الحسين، وكتاب الطف، وهذا انجذاب عام لسيد الشهداء عليه السلام.

نعم لتسييس الشعائر، لا لتسييس الشعائر:

هناك إثارتان متقابلتان:

الأولى: لماذا تسيس الشعائر الحسينية وتأخذ صبغة السياسة وبالتالي سوف تفقد روحيتها وصفائها ونورها وخلوصها.

الثانية: لماذا تجعلون الشعائر الحسينية جوفاء وليس لها أي مؤدّى ينعكس على واقعنا السياسي.

الجواب الأول:

في البحوث السابقة كنا نذكر جواب وسطي لهاتين الإثارتين وهو: أن المعصوم عدل القرآن فهو القرآن الناطق، ومن هنا فإن المعصوم حاله حال القرآن وحال الوحي وحال الشريعة إن عزلت الشعائر عن الواقع التطبيقي فهو كعزل القرآن عن الواقع البيئي الحياتي، فإذا لم يكن للشعائر الحسينية أي أداء لواقعنا المعاشي وعزلت تماماً ـ كما في القول الأول ـ فسوف تكون الحياة معزولة عن الدين وكأنما الدين شيء والدنيا شيء آخر.

ونفس هذا الجواب أيضاً نقوله على الاعتراض الثاني وهو أن إخلاء الشعائر الحسينية عن مضمونها الأصلي وتصبح بحث عن الشجون، وهذا أيضاً عزل للوحي عن الواقع المعاشي ولكن بصورة شعار وهو أن نعالج الشؤون المعاصرة ونغفل حينئذٍ عن رؤى وأنوار الوحي التي نستمدها من القرآن الناطق والقرآن المجسم الذي هو سيد الشهداء عليه السلام.

إذن الطريقة الوسط هي الطريقة المألوفة والمعهودة منذ القديم أنه يستمد من الوحي بشكل مفاد عام، قالب عميق، كبروي، وأيضاً ينقح الموضوع كصغرى وكواقع تطبيقي ليستمد الحلول مع رعاية ودراسة الواقع الموضوعي من الوحي.

إذن هو نوع من المواكبة ولكن لمنهل ونمير العين الوحيانية لسيرة المعصوم ومن ثم تطبق على واقع علاجنا.

الجواب الثاني:

وهناك جواب آخر أعمق وأوسع من الجواب السابق، فنقول نعم لتسييس الشعائر وفي نفس الوقت لا لتسييس الشعائر، بمعنى أن نجعل الشعائر أو القرآن أو الوحي المجندة والمسيسة إلى سياسيات لأشخاص أو فئات فتكون قالب بيد اتجاهات، فإنه مهما تكون الفئات البشرية المعاصرة ليست هي بأفق المعصوم أو بأفق الوحي فسوف تكون لها خصائصها

الشخصانية المحدودة التي تتناولها أو تتجاذبها النزعات الذاتية والنفسانية، والتي ليست لها سعة بسعة الخلوص عن الذاتيات وعن الأنانيات والعرقيات والقوميات والفئويات إلى رحاب خلوص وخلاص إلى رحاب النظرة التوحيدية الخلوصية الإخلاصية الواسعة الأفق بحسب آفاق الخلقة الإلهية جمعاء. فإن لون الحسين عليه السلام لونه التوحيد، والشعائر لونها لون الدين كله ولجميع البشر والفئات.

أما إذا أريد أن تجير الشعائر الحسينية إلى سياسات ضيقة وقزمة بقامة الفئات والجماعات والأشخاص ومن ثم توظيفها لآفاقهم ومآربهم المحدودة بحدودهم وأغراضهم المؤقتة بنزعاتهم الذاتية فسوف تلوث الشعائر الحسينية بتلوث الأنانية الفئوية، لأن هذا نوع من البرثنة لها ـ الشعائر ـ في حضيض ذاتيات وأنانيات وفئويات ضيقة، فإن الشعائر الحسينية وسيعة بوسع الدين، ووسيعة بوسع البشرية وبوسع كل الفئات والجماعات، فإذا كانت هذه الشعائر المقدسة تتخذ لأجل جعلها سلاح يتخذه بعض الفئات لتمرير أهداف ونظرات محدودة لهم فلا لتسييس الشعائر الحسينية بسياسات جزئية وضيقة.

نعم الدين يعالج الكلي والجزئي، الوسيع والضيق

ولكن حصره في الأفق الضيق فهذا غير صحيح إطلاقاً، فإذا كان التسييس بهذا المعنى فنقول لا لتسييس هذه الشعائر المقدسة.

التسييس الإلهي:

ولكن من جهة أخرى نقول نعم لتسييس الشعائر إذا كانت بسياسات إلهية واسعة الأفق بسعة المبادئ، وبشفافية خالصة من كدورة العصبيات وتمصلح الفئات، بسياسة يكون مركزها المعصوم وبرنامج مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبرنامج الثقلين، فإن المشروع الكبير الذي لدى الثقلين أضخم من مشروع الفئات أو مشروع القومية الخاصة والفئة الخاصة، فإن مشروع أهل البيت عليهم السلام يمتلك برمجة للفئات وبرمجة للقوميات بل لكل الجماعات ولكن في ضمن المشروع الكبير والضخم لسعادة كل المؤمنين وكل المسلمين وكل البشرية بل لكل الموجودات التي تنفتح على مشروع الإمام المهدي عجل الله فرجه وينفتح على مشروع وأنوار أهل البيت عليهم السلام في أصقاع الأرض. فبهذا المعنى نقول نعم لهذا التسييس الذي يسعى لإرساء العدالة والعقل والتعقل والرقي العقلي والروحي والمعنوي في سائر الأرجاء ضمن شعار أهل البيت عليهم السلام كشعار المشروع المهدوي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً أي توحيداً ونبوة

وولاية وعدلاً. أما في ظل سياسات ضيقة ومحدودة فلا لهذا التسييس.

الانجذاب الروحي لسيد الشهداء عليه السلام:

هناك مشاهدة محسوسة عيانية للجميع وهي بمثابة برهان معنوي وفكري وروحي بحسب منطق العلوم البشرية الإنسانية، وبحسب منطق العقل، وبحسب منطق الدين والوحي، وهي أنه يلاحظ في فضاء الجو الروحي لشعائر سيد الشهداء عليه السلام والتعلّق به هناك جاذبية روحية خاصة إلى الحسين وأهل بيته وأصحابه المستشهدين معه.

وهذه الجاذبية الروحية ليس لدى المؤمنين فقط بل لعامة البشر فضلاً عن المسلمين. لأنهم منبع روحي كلما تجدد في الخاطر البشري ولكل شرائح المجتمع فسوف يستمد منه حرارة ووهج وتوجيه وإثارة وجاذبية روحية لا تنفذ.

وبعبارة أخرى لو قايسنا قدوية جاذبية سيد الشهداء عليه السلام للوهج الروحي والمعنوي عند المؤمنين بل حتى المسلمين الذين يلتزمون ـ على أقل تقدير ـ عدم البغض والنصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام وينظرون إلى الحسين عليه السلام بموضوعية وحيادية فإن انجذابهم لا يقاس بانجذاب المسيحيين للنبي عيسى عليه السلام، فإن ما يقومون به من البكاء على النبي عيسى بن

مريم عليها السلام يوم قتله حتى يسيلون الدماء عليه عليه السلام لا نجد عندهم هذا الارتباط والانشداد الروحي بين محبي الحسين عليه السلام ومن كل فئات البشر بالحسين عليه السلام[1].

إن هذا الانشداد الشديد لو قايسناه مع انجذاب أي ملة بقدوتهم فلم نجد ولا نجد هذا العنفوان الروحي وهذا الجيشان الروحي الشفاف القوي المؤثر حتى في خلق المنجذب لسيد الشهداء عليه السلام بحيث يبدله ويغيره ويصهره من حيث يشعر أو لا يشعر.

واللطيف أن كل طبقات المجتمع وشرائحه يجدون لون خاص لهم في مدرسة سيد الشهداء عليه السلام تجعلهم ينجذبون إليه عليه السلام وهذا ليس صدفة عقلاً، فما هذه الدرجة الجمالية أو الكم الفضائلي أو الكم والمخزون الروحي الهائل الموجود في روح ونور سيد الشهداء بحيث لا ينضب هذا المعين.

فلو كان شيء معدود فمجموعة ينضب، ولكن هو عين ومنهل النمير غير المحدود في سعة مادته فلا ينزف، وهذا شبيه

---

(١) فهناك تقارير لـ (BBC) تصرح أن هناك تنامي في الشعائر الحسينية بعد سقوط النظام ليس في العراق فحسب بل في كل بلدان العالم بما في ذلك الدول الأوروبية وغيرها وأعتبروا هذا التنامي بالظاهرة الخطيرة، لأنها ضد الظلم والباطل حيث يقول المراسل أروا دايمون (Arwa damon) مراسم عاشوراء، رمز الوقوف ضد الظلم والباطل.

القرآن الكريم الذي يبين أحد مظاهر الملكوت في الجنة الأبدية من أنه عين لا تنزف، وهذا غير معقول من جهة العلوم الروحية والعلوم العقلية أن البشرية بأفكارها وخواطرها وقلوبها كالفراش تحوم حول شمعة الحسين عليه السلام وهذه الشمعة لا تنطفئ في القلوب والروح وفي انجذاب الروح لها.

وهذا يدل على عصمة سيد الشهداء عليه السلام، بل أعظم من قضية العصمة فإنها تدل على مرتبته عليه السلام في الاصطفاء الإلهي ففي الجذب الروحي يغاير مرتبة النبي عيسى عليه السلام وغير مرتبة باقي الأنبياء مع أتباعهم، فلم نجد هكذا انجذاب لأتباع موسى أو عيسى أو إبراهيم أو يحيى أو داود عليهم السلام لهؤلاء الأنبياء وغيرهم، بحيث يذوبون ويتماوتون لأنبيائهم كما نجد ذلك في أتباع الحسين عليه السلام ومن عامة المسلمين والبشر عدا النواصب في انجذابهم إلى الحسين عليه السلام بلا كلل أو ملل، فإن الكلل والملل لا يرفعه الشعر أو الخيال بل تغذيه الحقائق وتغذيه الحقيقة الروحية الحارة في عالم الروح وفي عالم الكمالات.

إن لقتل الحسين حرارة:

فلا نجد أي عزوف عن الحسين عليه السلام بل تجدد لا يبلى، وهذا ـ كما مر ـ شبيه القرآن الكريم فإن الحسين عليه السلام عدل القرآن، فكما أن القرآن لا يبلى لأنه يانع أكثر فأكثر فهكذا قضية

الحسين عليه السلام فإنها تزداد اشتعالاً ونوراً في الأجيال القادمة، وهذا ما صرّح به النبي صلى الله عليه وآله: «إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»[١].

إن هذه الحرارة لا توجد عند قلوب المؤمنين الصالحين فحسب بل حتى عند غير الصالحين، وهذا برهان واضح على علوّ روحي ومخزون لديه عليه السلام ترتوي منه هذه القلوب، وهذا ليس تعبيراً عاطفياً أو تعبيراً نثرياً أو شعرياً بل بمعنى فلسفي، عقلي، منطقي، بحسب العلوم الروحية، باعتبار أن هناك نوع من ارتباط الأرواح تطلع وترائي بين الروح والروح، ونوع من الاتصال، وهذه المصطلحات باتت واضحة لدى البشر في العلوم الروحية في شرق الأرض وغربها، وليس قولنا هذا من قبيل اصطلاحات وسفسطات وهلوسات باطنية بل هذه الأمور أصبحت من الأمور العلمية الواضحة لدى البشر.

وهذا الارتواء الذي في النفوس لا ينقطع وبلا فتور جيلاً بعد جيل، ولا نجد من يضخ هذا العطاء الروحي حتى المسيح بن مريم أو بقية الأنبياء عليهم السلام في البشر عدا سيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيدة النساء وذريتهم الطاهرة، نعم سيد الشهداء له مكانته الخاصة «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله» كما

(١) مستدرك الوسائل: ج١١: ٣١٨.

يقول الإمام الحسن عليه السلام بل كل الأئمة عليهم السلام فلا يوم بمعنى أن عالم الحسين عليه السلام عالم خاص، فلا يمكن أن يكون هذا الانشداد والانجذاب من فراغ روحي وإلّا فكيف يصير عطاء من هذا النموذج الروحي الذي يتمثل مثاله حذاء الأرواح، لأنه كعبة القلوب وكعبة الأرواح التي تطوف حولها تلك الأرواح دائماً، وأصبح مركزية للأرواح والأفكار والقلوب فهو عليه السلام ممد الأرواح وممد النفوس بهذه الفضائل الجمالية حيث ينتشلها من براثن واقعها إلى سموّ ما هو يتحلى به من جمال ومن فضائل ومن نور وصفاء، فلا يطفأ روحياً ولا معنوياً، وهذا مما يدل على موقعية سيد الشهداء عليه السلام وفضيلته ومقامه بالقياس مع بقية البشر.

أسرار
زيارة الأربعين

القسم الثاني

الإهداء

إلى الشهيد الذي قضى نحبه بين يدي أبيه الإمام الشهيد . . . .

إلى الشهيد الذي بقي في العراء ثلاثة أيام حتى دفنه أخيه الإمام . . . .

إلى الذي رفع دمه إلى السماء . . . .

إلى ابن الإمام وأخ الإمام وعمّ الإمام . . .

إلى أصغر شهيد في واقعة الطف . . .

إلى سيدي ومولاي عبد الله الرضيع . . . .

راجياً منه القبول.

الفصل الأول

زيارة الأربعين حضارة أم دولة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

إذا أردنا دراسة زيارة الأربعين لسيد الشهداء عليه السلام أكاديمياً فإنه يستدعي استذكار جملة من الآليات ومن المقدمات، ليكون بحثنا بحثاً علمياً وليس بحثاً عاطفياً لكي ننطلق بهذه الأبحاث الفقهوية العلمية بلغة عصرية.

وهنا لا بُدَّ أن نشير إلى بعض الأبعاد التي يجب معرفتها ودراستها في زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام:

البعد الأول: النظام والمنظومة الاستراتيجية

هناك علوم عديدة تبحثها الدراسات الأكاديمية من قبيل علم الحضارات، وعلم التمدّن البشري، وعلم نشوء الحضارات، وسقوط الحضارات، وتطور البشر كيف يحصل، وقد يتخيل البعض أن هذا البحث تأريخي أو هو فلسفة التاريخ،

أو من العلوم الإنسانية وهذا غير صحيح، نعم كان سابقاً بحثاً من علم التاريخ أو من العلوم الإنسانية وربما يدرجه البعض في العلوم القانونية والحقوقية وهذا صحيح تام، أما الآن فهو معترك لنظم من علوم مختلفة، وعلم أخر يعبّر عنه بالعلوم الاستراتيجية.

ومن المعلوم أن علم الحضارات زبدة للعلوم الاستراتيجية، والعلوم الاستراتيجية تعتبر مقدمة، غايتها ونهايتها تتمركز في علوم الحضارات، وعلم الاستراتيجيات رتبة فوق العلوم الأكاديمية، مثلاً هناك علم الاقتصاد، وهناك علم استراتيجية الاقتصاد، وهناك علم الزراعة وعلم استراتيجية الزراعة، وكذلك علم التجارة يختلف عن علم استراتيجية التجارة، وعلم الأمن يختلف عن علم استراتيجية الأمن، وعلم السياسة يختلف عن استراتيجية السياسة.

ويمكن تعريف العلوم الاستراتيجية أنها عبارة عن الشريان الدموي الذي يسري في كل العلوم، والعلوم الاستراتيجية في كل دولة سواء كانت من الدول المتوسطة أو من الدول الأولى لا ينخرط في دراستها إلّا المجندين من تلك الدولة فقط، وليس الباب مفتوحاً على مصراعيه لكل أبناء الشعب، أو آخرين مستضافين من بلدان أخرى، لأن العلوم الاستراتيجية تعرف أنها علوم السيطرة والقدرة، يعني من

الزراعة، ومن علم التجارة، ومن علم الجمرك علم الاستراتيجية الجمركية أو الضريبة التي كان يُعبّر عنها قديماً بالعشار.

فالعلوم الاستراتيجية علوم خطيرة تكسب الباحث السيطرة والقدرة، وهذه العلوم لا بُدَّ من توظيفها في دراستنا البحثية لزيارة الأربعين...

البعد الثاني: النظام الآلي التنظيري التطبيقي

هناك فرق بين علوم الحضارات وبين العلوم الاستراتيجية، فالعلوم الاستراتيجية تعتني بالجانب التطبيقي وبنظريات تبين كيفية الوصول إلى الحضارة، وهذا ما نلاحظه الآن في بعض الدول أنها تخطت الاقتصار على مرحلة البرلمان، ومرحلة الوزارات، إلى مشاركة شعبية أوسع لأفراد البشر تعتبر أكثر تطوراً من البرلمان ومن الوزارات، وهذه المشاركة هي عبر أربعة مراكز، مركز المعلومات، ومركز الإحصائيات، ومركز الدراسات، ومركز الاستشاريات الاستراتيجية، ففي تلك الدول دور الوزير أو البرلماني هو مجرّد موظف، وعامل، وتنفيذي لهذه المراكز البحثية، ويكون الطرح في مراكز الدراسات عدّة خيارات، وعدّة أطروحات، والوزير وأولئك البرلمانيون ما دورهم إلا التثبّت ومعرفة هذه الأطروحات أيها أنجح بتوسط مراكز الاستشاريات، وبالتالي

فهم منفذون لإملاءات هذه المراكز، وتعتبر هذه مشاورة عظيمة لنخب المجتمع.

وإنما نستعرض هذه الأمور لكي نصل إلى أن ظاهرة زيارة الأربعين ليست ظاهرة عادية، بل ظاهرة زيارة الأربعين وشعائر سيد الشهداء عليه السلام في الوقت الراهن هي حضارة معجزة، وإعجازها حسّي مادي دامغ وبالتالي ليست هي قصة حضارة عادية وإنما الحسين عليه السلام ومؤسساته حضارة عظيمة، يجب أن ندعوا البيت البشري إلى مشاهدتها ودراستها.

ومراكز المعلومات تقوم بمسح كل ظاهرة، سواء كانت اقتصادية، أو علمية، أو تجارية، أو أسرية، أو أخلاقية، ثم تجدول الإحصائيات ثم تجري عليها الدراسات، وهذه الدراسات التخصصية هي العقل الاجتماعي النابغ الموصل بين البرلمان والقضاء والسلطة التنفيذية، ولكل مفاصل الدولة التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، هناك مراكز دراسات، ومراكز استشاريات استراتيجيات، ومراكز إحصائيات، ومراكز معلومات، وهي الماكنة المحركة لتواصل المشاركة الشعبية مع أجهزة الدولة.

فهل ظاهرة الأربعين أو بشكل أدقّ شعائر سيد الشهداء عليه السلام في كل طقوسها وأزيائها - إذ إن الارتباط بسيد

الشهداء منتشر بأزياء مختلفة وقد أصبحت عالمية بعد سقوط الطاغية في العراق ـ هل يمكن تسميتها أنها حضارة أم أنها ظاهرة اجتماعية.

البعد الثالث: حضارة الموروث الحسيني

الآن لو نتابع الشعارات الخفّاقة التي تنشدها البشرية في الساحة العصرية الراهنة من قبيل السلم الدولي، وهذا شعار مهم تنشده البشرية، هو مطمح بشري، وأنشودة تتغنى بها البشرية التي ترفع في الساحات الدولية، والتي تنشدها وتتطلع إليها البشرية والهيئات الأممية هل تلبي طموحها وحاجياتها ظاهرة سيد الشهداء عليه السلام كنظام ومنظومة وسلوك.

وهناك شعار أخر هو العدل والإنصاف والتوزيع العادل لكل الفرص بين البشر، فهل يلبي هذا الشعار حضارة الحسين ومجتمع الحسين الذي نراه في ظل زيارة الأربعين.

وشعار أخر أيضاً ترفعه البشرية، وهو الجانب العاطفي الإنساني الذي نسمّيه نحن الإحسان ويسمّونه هم الجانب العاطفي الروحي الإنساني، ويتجاوز بحث الحقوق والعدل إلى ما هو أعلى، وهو مبدأ الكرامة الإنسانية، وهويته دينياً الإحسان، فهل أن حضارة الإمام الحسين عليه السلام حضارة إحسان أو حضارة عدل، ولا يخفى أن دولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هي دولة عدل

ولم توصف بالإحسان وهذا دور صعب في مهام الدولة، ولكن هناك دور لدول آل محمد عليهم السلام المعلنة ثاني تكميلي للبشرية يُسمّى الرجعة، وإن كانت الدولة السرية للأئمة عليهم السلام قائمة وموجودة، أما الدولة المعلنة فأول من يقيمها الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف وستبقى، وأول من سيرجع من الأئمة هو الإمام الحسين عليه السلام في ظل حياة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف قبل وفاته أو استشهاده، ثم أمير المؤمنين عليه السلام، ثم باقي الأئمة عليهم السلام، وما يمر من عمر الدنيا من دول الظالمين عشرون بالمائة أما الثمانون بالمائة فتتمّ في دولة الظهور ودول الرجعة لهم وهو الدور التكميلي الثاني.

وهل تستطيع الأمم المتحدة أن ترسي العلاقات الدولية وفق مبدأ الكرامة الإنسانية والإحسان، وكيف لها بذلك وهي لم ولا تقيم العدل والقسط في أي نزاع يحدث بين الدول أو فيما بين الشعوب والدول.

وهناك شعار أخر أيضاً تتطلع إليه البشرية وتهتف به وهو حرية الفرد، حرية الروح، حرية المجتمع، وهذه الحرية لها تعريفات متعددة ليس المقام بصدد ذلك، حيث هناك جدل كبير حول تعريف الحرية.

وأحد الشعارات الأخرى المطروحة هو إقامة نظام عالمي

موحّد بدل أن تكون أنظمة مختلفة في النظم قانوناً وإدارةً وأدلجة كما يبحث ذلك في حوار الأديان وهو محور مطروح فكرياً في مداولات الندوات الحوارية البشرية أيضاً، وحوار المذاهب، والألفة الإنسانية وغير ذلك من الشعارات والحوارات التي تطرح بين فترة وأخرى.

وههنا يتساءل هل أن مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام قد لبت وأنجزت مثل هذه الأمور لكي ندّعي أنها حضارة أو لا، وهذا بعد ثالث في الدراسة.

البعد الرابع: سفارات الإمام الحسين عليه السلام العالمية والدولية في أقطار البلدان

هو بُعد آلي ورقمي وميداني، فإن مؤسسات سيد الشهداء عليه السلام تشارك فيها شعوب مختلفة بما في ذلك زيارة الأربعين، وإذا أردنا أن نوسّع نطاق أنشطة مؤسسات سيد الشهداء عليه السلام لا يمكن لنا أن نقتصرها على العتبات المقدسة في العراق أو في إيران أو أي دولة أخرى، لأن كل حسينية في العالم في كندا، في أمريكا، في اليابان، وفي أندونيسيا، في أفريقيا، هي في الواقع تعتبر بيت للحسين عليه السلام، وسفارة للحسين عليه السلام، وبصمة للحسين عليه السلام، هذه البصمات - إن شاء الله - سوف تمتد أذرعها وترفرف في كل أنحاء المعمورة، ولا يخفى أن هذه

البصمات تخلق علاقات دولية، وتخلق علاقات مع مراكز الدراسات في العالم ومع نخب العالم، وبالتالي سوف تبني استراتيجية مهمة. وهذه الاستراتيجية مشروحة في رواية للإمام الصادق عليه السلام، استراتيجية أهل البيت عليهم السلام في انتشار حضارتهم.

فعن عمار بن أبي الأحوص عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «أما علمت أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعسف والجور، وأن إمامتنا [إمارتنا] بالرفق والتآلف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وفي ما أنتم فيه»[1].

وهذه كلها آليات ناعمة، وهي استراتيجية أهل البيت عليهم السلام في إقامة حضارة دولتهم.

ونذكر لكم تجربة أحد السادة المعاصرين رحمه الله ومشروعه الذي كان ناجحاً في البعد الرابع عبر التواصل مع نخب البشر في العالم وتسويق برامج أهل البيت عليهم السلام الحضارية عن طريق اللغة الناعمة، أو القوة الناعمة، والتي هي قوة خطيرة لكنها ناعمة إذ ليس فيها سفك دماء بل تفتح العقول، والقلوب، والتواصل مع النخب.

---

(١) الوسائل ج١١: ٤٣١.

وإذا جدولنا نقاط هذه الأبحاث نجد أن هذا النموذج الحضاري لمؤسسة الإمام الحسين عليه السلام يمكن تسويقه وعرضه على مزاد الشعوب في العالم، والمهم الالتفاف إلى آليات التسويق، فهذا السيد لمدة خمسين سنة كانت لديه مؤسسة تنشر علوم أهل البيت عليهم السلام وراسل وتواصل شبكياً مع مراكز الدراسات في العالم لمدة خمسين سنة، مع الجامعات والنخب في كل الحقول، ومرَ بنا أن علوم الحضارات ليست علوم الاقتصاد، أو التاريخ، أو العلوم الإنسانية، أو علوم العمران فقط، بل الحضارة هي مجموع كل هذه العلوم، والتواصل مع أصحاب القرار في الحضارات يتم عبر التواصل مع كل النخب لتسويق النموذج الحسيني، ولو أردنا أن نتتبع حاضراً وفي هذه السنين وخصوصاً هذه الأيام، كم عقلية بشرية عظيمة عشقت أهل البيت عليهم السلام من خلال علم أهل البيت عليهم السلام فسوف يطول البحث، وهؤلاء يديرون مراكز خطيرة، وفي دول خطيرة، ونماذج حية عجيبة، وقد كان السيد يحرص في تواصله معهم بعيداً عن الضوضاء وعن أي صدى إعلامي كي لا يحدث أي تشنج عصبي يسدّ قنوات التواصل، وهذه برمجة ذكية في كيفية التسويق، وإخلاص بلغة عصرية فالإخلاص يقتضي أن تدع عنك الصخب، والتطبيل، وهكذا ينتشر النور تحت السطح وإلا فإن مراكز أخرى ستقف حائلاً دون انتشار هذا الأمر وتسويق

هذه البرامج والأطروحات النيرة، نعم الصخب ضروري ولكن في جهات أخرى وهذا يتطلب تدبير ودراسة، أما في التواصل فينبغي أن نبتعد عن الصخب.

فقد روي عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها للناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»[1].

وهذه هي آلية أهل البيت عليهم السلام في التوسّع النوري الفكري العقلي، وهو توسّع علمي، هذا البُعد هو بُعد مهم وخطير وضروري الالتفات إليه.

البعد الخامس: مؤسسة الحسين عليه السلام والسلم المدني

وهذا البُعد مهم جداً، وحيّ، وملموس، هل يستطيع أي نظام لأي دولة تشارك شعبها في مؤسسات الحسين عليه السلام، سواء في الأربعينية أو في بيت الحسين عليه السلام وهي الحسينيات المنتشرة، هل يستطيع نظام ما أن ينجز في الحقول المختلفة في السلم المدني داخل العراق، أو داخل إيران في التوعية الثقافية،

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢: ٢٧٥.

نظام ما أو وزارة دولة فإن كل وزارة لها وظيفة، فالقضاء وظيفة بينما بقية الوزارات لها وظائف أخرى بينما ما تقوم به مؤسسات حضارة الحسين عليه السلام في غضون أسابيع أو في غضون ليلة كمشاركة في مأتم ولو لفترة قصيرة، هل استطاعوا أن يصلوا إلى نسبة مئوية مما ينجزه مشروع حضارة سيد الشهداء عليه السلام، ولنكن بعيدين عن العاطفة، وعن البُعد الغيبي من العقيدة ولنكن ماديين، رقميين، حسّيين، هل ما تنجزه الدول الآن في إنجازات وزاراتها بدءاً من أنظمة الدول العظمى إلى أنظمتنا وإلى أنظمة الدول الأخرى، هل تستطيع أن تماثل، أو تحاذي، أو تقتبس ما تنجزه مؤسسة الإمام الحسين عليه السلام بالأرقام كل وزارة بإنجازاتها.

بهذا النمط من الأبعاد سندرس مؤسسة المشروع الحضاري للأربعين ومؤسسة شعائر الحسين عليه السلام أنها حضارة متحدية للبشرية في إعجازها، إذا استطعنا أن نملي هذه الأبعاد بحثاً وإحصاءً ومعلوماتاً سنكون حينئذٍ في صدد دراسة عصرية بلغة عصرية أكاديمية يفهمها جميع البشر، إن دراسة شعائر سيد الشهداء عليه السلام حضارة مدهشة متحدية، الآن تقام مطالعات ودراسات مادية لحضارة الأربعين، دراسة روسية، ودراسة أمريكية، ودراسات غربية، سوف نذكر بعض البنود من تلك الدراسات التي فاجأتهم.

زيارة الأربعين والنظم والنظام:

ولا يخفى أن علم الحضارة أعقد العلوم الاستراتيجية، والبعض يسميه علم السيطرة وعلم القدرة والقوة، ولم يعد دراسة تاريخ مضى وإنما هو دراسة تخطيط مستقبل آت وحاضر راهن، كيف يبنى وكيف يؤسس على ما مضى، وعلى ما هو راهن، ومن ثم هذه العبارة، أو الدعوى، أو المزعمة العلمية التي تدعى، وأن الشعائر الحسينية أو زيارة الأربعين هي حضارة، وهي دعوى ثقافية، أو صحفية، أو شعارية، بقدر ما تحتاج إلى أسس وبنود في إقامة البرهان الرقمي عليها.

وهناك جملة من قواعد البيانات أو علوم المعادلات الرائجة في عصرنا الحاضر لدراسة ومنهجية أي ظاهرة اجتماعية، أو نسيج، أو منظومة، أنها حضارة أو حالة أو حادثة أو لون اجتماعي أو تراجيديا اجتماعية أو غير ذلك من أقسام مختلفة، ما هي أسسها و بناء نظامها.

وأن أعظم شيء في أسس الحضارة، وأعظم أساس هو النظم والنظام والمنظومة، وبعضهم يعرفه بالازدهار والتنمية والإنماء، وبعضهم يعرفه بالسعادة، والحقيقة أن كل ذلك يوصل إليه ببنية النظم والنظام، وهذه من الأعمدة المهمة في تعريف الحضارة حتى لو أخذنا بالتعريفات الأخرى من السعادة أو

النمو والتنمية أو الرقي والكمال سوف نجدها في ظل النظم والنظام.

وبحسب قواعد المعادلات في العلوم الحضارية التي يدلى بها في بحوث العصر، نوظف هذه المعادلات ونستعلم بها ظاهرة الأربعين هل هي حضارة؟ أو بعبارة أخرى الشعائر الحسينية هل هي حضارة أم ظاهرة أم هي لون أم هي من أقسام أخرى من أعراض المجتمع؟ وشعائر سيد الشهداء عليه السلام لا تختزل في الأربعينية ولكن ذروتها أو إحدى ذروها العليا وقممها هي زيارة الأربعين، وإلّا فإن شعائر سيد الشهداء عليه السلام تحمل بصمات ومواسم ومناسبات وسفارات عديدة، فكل حسينية في العالم هي سفارة حسينية، وهي بيئة، وبؤرة ممثلة الحضارة.

وهناك مقارنة أجراها أحد الباحثين الغربيين من أصحاب مراكز الدراسات، وهذه المقارنة التي أجروها مقارنة عظيمة ومذهلة، ونحن لسنا في صدد مقارنة حضارة سيد الشهداء عليه السلام كحضارة مع التاريخ الغابر للأمم البشرية فقط بل إن الأهم هو أن نقارن هذا الحاضر المشيد من حضارة شعائر سيد الشهداء عليه السلام مع الحضارات الراهنة العصرية للشعوب، بل لا نقتصر في هذه المقارنة على الحضارات الراهنة العصرية وإنما نحاول أن نقارن بين هذه الحضارة أيضاً كشعائر سيد الشهداء

والتي ذروتها زيارة الأربعين، أو من ذراها زيارة الأربعين وبين الحضارات المأمولة المنظورة التي يطمع إليها البشر في المستقبل الواعد الآتي، التي هي دولة الإمام المهدي عج، أو دولة المصلح الإلهي الكبير المبعوث من السماء، والتي تعتقد بها كافة البشرية على اختلاف معتقدهم في المصلح المنقذ.

فبنود هذه الحضارة التي يتطلع إليها البشر في المصلح الكبير لا تضاهى، لو نقارن بينها وبين ما نلمسه الآن في الوقت الراهن من حضارة شعائر سيد الشهداء عليه السلام وكما تقدم للحضارة عدّة تعاريف وأحد تعاريفها المهمة النظم والنظام.

إن من أعظم البراهين على وجود الله هو برهان النظم، والنظم يعني العلم، والعلم يعني النظم، لأن بناء الكون والتكوين والأكوان والعوالم مبني على نظم معادلات، ويسعى حثيثاً علماء كل علم لاكتشافها ـ مثلاً ـ هل المادة الفيزيائية لمواد كثيرة كونية مرئية وغير مرئية، والبشر بدأ يتطلع إلى فيزياء للمادة غير المرئية، مثل الكائنات الفضائية بزعم البشر، لأن العلم يعني معادلات منتظمة تسير الأمور وفقها.

فالنظم أساس للعلم، والعلم كاشف للنظم والنظام والمنظومة، في حين أن ما نشاهده هو متغير لكن هناك ثابت ساري في كل العلوم هو النظم والنظام والمنظومة، فالنظم شيء مذهل وليس شيئاً صدفة. والنظم لا يمكن أن يكون ظاهرة

جزافية ولو كان كذلك لما بحث أي عالم في علم ما عن معادلات ثابتة، إذ كل ما يرى من متغيرات يخضع تحت ظواهر منتظمة، ولا يمكن أن يكون هذا من باب الصدفة والاتفاق، بل لا بد أن يعزيها إلى معادلات، ومحال أن يكون غير ذلك.

والفلاسفة والمتكلمون يطلقون عليه قانون العلّية والأسباب والمسببات، وعلماء العلوم التجريبية يسمّونه معادلات وظواهر، وهل يمكن أن يسود نظم ونظام من دون سبب؟، وهل هذا السبب منظم ومنتظم؟.

جواب لسؤال:

يمكن أن يُثار تساؤل ويُقال: كيف تصوروا أن ظاهرة زيارة الأربعين ليست ظاهرة وإنما هي حضارة؟، وهل يمكن اعتباطاً أن نعتبرها حضارة حيث لا بُدَّ من أسس وأدلة؟.

والجواب:

إن برهان النظم الذي مرّ إجماله يعتمد على عداسة الأرقام المحسوسة من هذه الظاهرة أنها ليست تموج عفوي مقطعي بل منهاج يبني حضارة.

والشيء المذهل لدى مراكز الدراسات العالمية لشعائر سيد الشهداء عليه السلام وخصوصاً زيارة الأربعين هو هذا النظم، ففي

أصعدة عديدة بحسب تقاريرهم، وحسب ما تسرّب من خلاصات لهذه التقارير والدراسات الشيء الذي يذهلهم هو النظم في ظاهرة زيارة الأربعين مقارنة مع النظم الموجود في أقوى الدول في العالم، مع أثرى وأغنى دولة في العالم وهي الدولة الأمريكية، وحسب ما يزعمون مع أزهر المدن عندهم هي نيويورك، وواشنطن، وكاليفورنيا، بما سمّيت المدينة بالمدينة، ولم تسمّى ريفاً، أو قرية، أو صحراء.

وسمّيت بذلك لأن فيها تمدّن أو حضارة، يعني فيها معلم أو حضارة، وسمّيت المدينة للتمدن لأنها نافذة وبوابة للاطلاع على الحضارة، فالمدينة ليست بقعة جغرافية، أو بقعة مكانية مقطوعة عن الحضارة كما تخيل السائل في اعتراضه، ومجتمع مدينة معينة ليس هو مقطع زماني معين لا صلة له بالحضارة وإنما هو علامة لحضارة، وإن اختلفت درجات الحضارات وطابع الحضارات فيما بينها، وإلّا فالمدينة أو حتى القرية أو الناحية أو الصحراء أو البادية كلها معالم لدرجات من التحضّر والتمدّن.

القرآن الكريم والحضارة:

إن استكشاف رؤية القرآن الكريم عن الحضارة والتمدّن يتوقف على بحث طويل، فالقرآن يسمّي المدينة العامرة

المتمدنة في العمران البنياني الجماد يسميها بالقرية لأنها كافرة ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[1]، رغم أنها مدينة عامرة في البنيان لكن سمّاها القرآن الكريم قرية، بينما موضع حبيب النجار وقد جاء من قرية في العمران الجمادي متخلفة جداً في البنيان لكنها منطقة موحدة في العقيدة فسمّاها القرآن الكريم مدينة ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2].

فمع أن حبيب النجار انطلق من قرية من جهة العمران الجماد، ولكن بما أن المنطقة موحدة سمّاها القران الكريم مدينة متمدنة، أما القرية الزاهرة بالبناء والعمران الجمادي سمّاها القرآن الكريم قرية لأنها كافرة، هذا اصطلاح قرآني لسنا في صدد الخوض فيه، فالقرآن الكريم له منهج خاص في التمدّن أو القروية أو الريفية أنها بحسب الروح ونظام التعايش المعاملي الإنساني، لا بحسب الآلة الجمادية والبدن.

الهوية الروحية لمجتمع الشعائر الحسينية:

قد ذكر للنظم تعريفات متعددة منها أنه التنمية، أو السعادة، أو الكمال، أو الرفاه، كما أن هناك تعاريف عديدة للحضارة أحدها

---

(١) سورة يس: ١٣.

(٢) سورة يس: ٢٠.

هو النظم، ولنتمسك بهذه الآلية والمنهجية، وبهذا التعريف للحضارة الذي هو النظم، فهل تسبق شعائر الحسين عليه السلام وتنافس حضارات معاصرة في النظم والانتظام أو لا؟.

والبحث بحثٌ رقميٌ بيانيٌ ودراسيٌ وليس عاطفياً بل مادي وحسي، وهذا النظم والانتظام على كل صعيد سواء الصعيد الأمني، أو الصحي، أو الصعيد التمويني، الغذائي، أو المروري، أو الصعيد الروحي، أو الأخلاقي وغيرها من الأصعدة، وأي نظم يبحث ويقارن بين شعائر سيد الشهداء عليه السلام والدول العظمى المعاصرة كحضارة في قبال أرقى مجتمعات العالم في الزعم العصري الحاضر، ومقارنة رقمية بينهما لا بالعاطفة بل بشواهد حسية، وقواعد بيانات رقمية مشهودة.

أما التقرير الغربي فقد أقامه شخص صاحب دراسات ويدير مراكز دراسات مهولة مع فريق عمل، والقائل بهذه المقولة في المقارنة بين الحضارة الغربية والحضارة الحسينية، هو صاحب دراسات وكفاءات خطيرة ويدير مجموعات إدارية هامة، وطواقم كثيرة وقضى بهذه النتيجة، أن تمدّن المجتمع الحسيني أرقى من تمدّن المجتمع الأمريكي، وقد كان منتدباً في وقت وجود الأمريكان في العراق لمراقبة الوضع على مدار ٢٤ ساعة خلال أسابيع الزيارة المليونية بآليات وتقنيات متقدمة وقد وصل إلى هذه النتيجة.

وفي علم البشر في العصر الحاضر لا يضعون محافظاً يمتلك تخصصاً واحداً في المدينة النموذجية، لا يضعون محافظاً صاحب تخصص في القانون أو مهندس فقط، هذا المقدار من التأهل أكل عليه الدهر وشرب، بل محافظ المدينة يتطلب منه دراسة علوم عديدة لأنه يعتبر رئيس دولة ليتأهل لذلك، لأن رئاسة المدن كرئيس بلدية، أو محافظ لا بُدَّ أن تكون له مؤهلات وشرائط، وليست القضية مجرد انتخابات، فالمعيار البشري الراهن تجاوز قضية الانتخابات، وأخذت مراكز الدراسات، ومركز الإحصائيات، ومراكز المعلومات، ومراكز الاستراتيجيات، هي لها الدور الأبرز، فلا يكون مصير الأمة مرهوناً بيد مجموعة من البرلمانيين، ولا في أيدي مجموعة طاقم الحكومة التنفيذية، بل أصبحت المراكز ذات دور مهم في القرار، والآخرون منفذون في التفاصيل والجزئيات.

هذا في المقياس المادي والتعريف المادي للحضارة المادية، فعندما يعينون عضواً في مجلس الأمن القومي، يشترطون فيه امتلاك كفاءات ودراسات كثيرة.

حاول هذا الشخص أن يقارن بين مجتمع شعائر سيد الشهداء عليه السلام وبين النظم الحضاري الراهن المعاصر، هذا المجتمع الذي ينتمي لسيد الشهداء عليه السلام لا بنزعة التربة، ولا

اللون، ولا بنزعة العنصر والقومية، إنما ينتمي إليه بنزعة الهوية الروحية، وبدأت هذه الدراسة ـ منذ سقوط الطاغية إلى الآن ـ من خلال أجهزة مراقبة وبفرق وطواقم ميدانية تغوص في جماهير المشاية من دون أن يعرفوا ذلك، وكثير من المسؤولين على علم واطلاع بمجيء هذه الطواقم الدراسية الغربية، أضف إلى ذلك الأقمار الصناعية، والآليات المراقبة، وجمع المعلومات الالكترونية بالتقنيات الحديثة العصرية.

وحاولوا مراراً وتكراراً أن يرصدوا أي حادثة في زيارة الأربعين سواء كانت في البُعد التمويني الغذائي، أو الصحي، أو المروري، أو الأخلاقي، أو الأمني، ولأبعاد عديدة أخرى فلم يستطيعوا أن يرصدوا حادثة واحدة، والملاحظ أن هذه الحضارة لمجتمع سيد الشهداء عليه السلام ليست في المدن العمرانية فحسب وإنما في الصحاري، وأصعب شيء هو أن تقيم حضارة في صحراء، صحيح أن الحضارة لها بُعد روحي ونفسي وخلقي وقيمي ولكن الآليات المادية ضرورة لا بُدَّ منها، فلا توجد حضارة تبنى على هواء، أو تبنى في بحر، أو في صحراء، بل يُراد لها آليات ضخمة انفجارية، وهذا هو التحدي الموجود في حضارة شعائر سيد الشهداء عليه السلام وهو إقامة حضارة في الصحراء ومن دون مدير مرئي لها، وهذا بُعد خطير في عظمة إدارة المجتمع المليوني الحسيني.

وهناك بُعد آخر وهو أن ينافس ويرتقي على نظم العالم في حضاراتها في كل الأبعاد، وليس في بُعد واحد، فمثلاً بعض الحضارات قد تنمو وتفسد وتكون رائدة في بُعد تقني تكنولوجي، وبعضها في بُعد زراعي، وبعضها في بُعد عسكري، وبعضها في بُعد العلوم التجريبية، وبعضها في بُعد العلوم الإنسانية أو الروحية لأن الحضارات متوزعة ومتنوعة في البعد الذي ترتقي وتزدهر فيه.

إدارة المجتمع الحسيني:

وهناك جانب مهم في هذه الدراسات حول المجتمع الحسيني في الأربعين وهو البحث عن المدير لهذا النظم في المجتمع الحسيني الذي نشهده الآن، هل يديره النظام في العراق، طبعاً جهود الكتل المؤمنة مشكورة وجزاهم الله خيراً، ولكن هذا فوق طاقتهم وليس من لمسات أيديهم، بدليل أن المقارنة بين ظاهرة الأربعين وبقية فصول السنة، هل تديره دول الجوار المؤمنة مثلاً، طبعاً لا، لأن ذلك خارج عن طاقتها، لأن عيّنات المجتمع الحسيني فائقة ومذهلة ومدهشة للغرب، ومثالها وعيّنتها ونموذجها ليس موجوداً في دول الجوار، ولا في مجتمعات دول الجوار بل دول الجوار منذهلة أيضاً لإدارة هذا المجتمع الملاييني، وأنه كيف يتمّ تأمين هذا الاجتماع وفي

جوانب عديدة طيلة ٢٤ ساعة وعلى مدار عشرين يوماً لملايين من دون حصول حوادث، فهذا النظم والانتظام كما يقوله التقرير الأمريكي.

فكيف يمكن كل هذا النسق من النظم، هل هو تنويم مغناطيسي مخدر، أو تصوير (فلم) خيالي يمرّ علينا في غضون عشرين يوماً. والمقارنة هي بين النظم الحضاري الراهن المعاصر لأكبر حضارات البشرية وبين عيّنة من المجتمع الحسيني في ذروة الشعائر الحسينية في الأربعين، الآن المجتمع الأوروبي الغربي يعتبر أمريكا جنّة الخُلد بالنسبة له، وإن لم يكن هذا رأي عام لكل الشعوب الأوروبية لكن النظم الغربية تتطلع إلى أن النظام الأمريكي هو نظام الخُلد بالنسبة إليها، حتى المجتمع الروسي وغيره.

في أوكرانيا ـ مثلاً ـ سيل لعاب الشعب إلى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي حيث يعتبرها جنّة الخُلد بالنسبة إليه، وفي نفس الوقت النظام الأوروبي ينظر إلى النظام الأمريكي أنه جنّة الخُلد بالنسبة إليه، هذه ظواهر موجودة وإن لم تمثّل كل شعوب تلك البلدان، وهنالك نسب منها تتطلع إلى ما وراء الحضارة الأمريكية.

والنظم الذي يقارن بين مجتمع شعائر سيد الشهداء عليه السلام والمجتمع الأمريكي كعينة رائدة للمجتمع البشري الراهن،

مقارنة في ميادين عديدة وليس صعيداً واحداً، فليس النظم والانتظام على صعيد واحد، ولا بُدّ أن نجريه ولو ببيانات إجمالية.

ثم إن حضارة المجتمع الحسيني صارت مجمع الحضارات وسابقة ورائدة ومتخطية للخطوط والحدود وبإدارة غير مرئية، إذ الإدارة ليست تفاصيل الكوادر إنما الإدارة هي مثل الأعصاب التي تنتشر وتدير الأعضاء، وأين هذا الجهاز العصبي في الإدارة، وأين هذا المخ الذي يدير، وأين دستوره، إذ النظم يتوقف على تدوين نظري، وآلية استراتيجية، ومدير منفذ بالآليات المتطورة، إذ الحضارة لها بُعدان بُعد تنظيري، وبُعد تطبيقي تنفيذي، فأين المدوّنة لهذه الحضارة المجمع، وهذه ليست عاطفة، وليست بإملاء المحبة، نعم المحبة والعاطفة الصادقة موجودة ولا نستنكر ذلك بل بالعكس نتشرف وننعم بها، ولكن القضية قضية أرقام، وحقيقة وواقع منظومي.

بينما عندما تنقطع الكهرباء سنوياً لمدة ساعات في أعظم مدن العالم مثل نيويورك، وواشنطن، وكاليفورنيا يختلّ الأمن ويحصل فيها هرج ومرج، ويتفشى القتل والاغتصاب والخطف الفوضى بحسب تقاريرهم، وتتفشى السرقة، ويتفشى الانفلات وينقلب عموم المجتمع في تلك المدن إلى وحش غاب بلا نظم في الحضارة الأمريكية.

يحصل كل ذلك في قلعة الحضارة وفي أبرز مدنها فضلاً عن بقية المدن، وفي داخل المدينة ذات الإمكانيات العظيمة والمجهزة بملايين الكاميرات التي تراقب، وبملايين الطواقم الخدمية، الأمنية، المرورية، العسكرية، الصحية ومع ذلك يحصل الانفلات العارم، بينما يقيم سيد الشهداء عليه السلام حضارة في الصحراء، والملايين تفد في الصحاري ولا يقع لديها أي إرباك صحي، أو غذائي، أو مروري، أو امني، أو روحي، أو خلقي، أو إداري، ولا تسجل أي حوادث بل تنخفض الحوادث إلى درجة مذهلة، فهل يمكن أن يكون هذا صدفة؟!.

هذا النظم والانتظام بهذا الشكل الدقيق لم يأت ويقع صدفة، ولا سيما أن المجتمع العراقي ـ كما تقول الدراسة الألمانية ـ إن طبيعة العنصر العراقي من شدة العاطفة عصبي، وليست العصبية السلبية، وإنما توظف إلى الإيجابية، والجانب العاطفي متوهج فيه، وهذا يوظف إلى خيرات وإيجابيات لا إلى سلبيات كما قد يخطئ من يقرئها، وتقول هذه الدراسة كيف أن هذا المجتمع الحادّ الهائج عاطفياً تراه منتظماً بلا حوادث، وبلا هيجان إلا هيجان المحبة، هيجان الإيثار، هيجان الفضيلة، كما أن هناك بعض المجتمعات الأخرى تحمل طبائع أخرى ولكن عندما تأتي زيارة الأربعين تذوب في هذا المصهر الحسيني، وتتبدل طباعها مدة الزيارة.

ولو تقارن القابلية الاستيعابية لمحافظة كربلاء المقدسة للملايين مع القدرة والقابلية لمكة المكرمة أو المدينة المنورة أو كاليفورنيا فلا نرى تساوي ولا تقارب فكيف يتحقق هذا الناظوم والانتظام المذهل المدهش بين ملايين الزوّار في زيارة الأربعين، مع أن التكدس البشري يسبب أعباء في الجانب الصحي، والمروري والتمويني الغذائي، أو الأمني أو غير ذلك، فكيف هذه الأعباء تتنفس وتنتظم ولا تصطدم بتنسيق و بتسيب وبروافد مختلفة، فكيف يكون ذلك، هذا شيء ليس صدفة، الآن البشر في حالة دراسة السبب في ذلك ما هو؟، وكيف يحدث هذا النظم المذهل تنظيراً وتطبيقاً.

هذه الظاهرة على وفق مدارس كثيرة في علوم الحضارات ليست ظاهرة صدفة، وليست ظاهرة اتفاق عابر، وليست عبارة عن طلعة وومضة حدثت ثم تختفي إلى الأبد، رغم أن الظاهرة لو افترضناها ومضة بشرية مجتمعية حصلت ثم اختفت أيضاً فمنطق الأسباب والمسبّبات والعلل يرفض أن تكون ومضة عفوية، فكيف بك إذا كانت هي متكررة بشكل دوري.

حينئذٍ لا بُدَّ من وجود منظومة أسباب، وهذه المنظومة هي حضارة تعتمد على نظام يتحدى النظام البشري المعاصر، ومعاجز أهل البيت عليهم السلام وعلومهم لا تتحدى الأجيال والأمم السابقة فقط بل تتحدى نظام العصر الراهن أيضاً، وهي في هذا

الأوان تقدم مادة حسّية ملموسة محسوسة متطورة سابقة على نظم البشر، ومن ثم كان لا بُدَّ من دراسة ومعرفة قواعد هذا النظام الحضاري الموجود لدى أهل البيت عليهم السلام وزيارة الأربعين نموذجاً وعلامة من دلالات ذلك النظام.

ولنأخذ مقارنة ثانية بين إدارة موسم الحج والذي تستعين فيه الدولة بدول عظمى في غرف عمليات الإدارة الأمنية والعسكرية والصحية والمرور والتموين الغذائي وشبكة الاتصالات وإلى غير ذلك من المجالات، ومع كون التجمع لا يتجاوز الأربعة ملايين وقدرة الإمكانيات المهيّأة، ورغم كل ذلك ونرى بين السنة والأخرى الحوادث التي تقع كفواجع في الحجاج ومنذ عشرات السنين رغم التطور في الآليات الإدارية وبمعونة خبراء من دول العالم الأول، بينما لا تجد ذلك في مجتمع زيارة الأربعين وهو أضعاف عدد الحجاج مع قلّة الإمكانيات، بل قد قارن ثمانية من خبراء التموين الغذائي الأعضاء في جهاز إدارة موسم الحج في مكة والمدينة بين مواسم الحج حيث تقع أزمة غذائية سنوية يوم التروية رغم الاستعداد الهائل لموسم الحج من الجهات المختصة، والتوزيع يتمّ على الأماكن التجارية ومن قبلها بتقاضي معاوضي مالي لا مجاناً، بينما في مجتمع زيارة الأربعين يتم التوزيع مجاني وعلى مدار ثلاث وجبات بل على مدار الساعة في طوال اليوم بمدة

تتراوح بين أسبوعين وثلاثة، ومع كل ذلك لا يُسمع بضائقة غذائية بل بفائض غذائي يدهش، فهل هذا صدفة، أم له أسباب علمية متوفرة في مجتمع زيارة الأربعين، ويحاول العالم عبر مراكز الدراسات اكتشاف تلك الأسباب منظومياً.

ولنستعرض مقارنة ثالثة وهي دورات الأولمبياد أو الاولمبي التي تعقد دورياً في دول العالم، ولنأخذ نموذجاً الدورة التي عقدت في جنوب أفريقيا وهي من العالم الأول وبمعونة مشاركة أربعين دولة في إقامة تلك الدورة إدارياً ولوجستياً، التي كان مقرراً حضور أربعمائة ألف دون النصف من المليون، ومع كل ذلك فقد وقعت حوادث أمنية على الصعيد الفردي والمؤسسات، وفي الجانب الأخلاقي والازدحام المروري، وهناك إحصائيات مفصلة في التقارير الصادرة عن ذلك المنتدى الدوري المعقود.

الحضارة الحسينية والحضارة الغربية:

ربما يُقال إن مقياس المقارنة في الحضارة لا بُدَّ أن يكون مشتركاً كي تتمّ المقايسة، وهذا صحيح، فالقرآن له ميزان ومنطق في الحضارة غير ما هو مقرر لدى الغرب حالياً، من يعيش في الغرب يجد أن الغرب ليس كما ننظر إليه من أنه استبرق ديباجي، وما يزعمه من الديمقراطية، والنظم، واحترام القانون هذا كله

تصوير هوليودي، يغاير الواقع المعاش وما هو مرسوم في أعيننا، وفي أسماعنا كلها صور هوليودية، وهذا ملف يتطلب الدراسة الميدانية والكثير جداً من الإحصائيات ولكن نذكر بعض العيّنات على ذلك كالاستفتاء الذي جرى في العقد الأول بعد الألفية الثانية الميلادية في الشعوب الغربية الأوروبية عن موقفهم اتجاه إسرائيل، في الوقت الذي أوقفوا بعض القنوات الشيعية، وكان سبب توقيف البث لفضائيتين هو هذا الاستفتاء الذي أجري في الشعوب الأوروبية الغربية فكان رأي ٧٠٪ منهم إن إسرائيل هي المدانة، وعلى اثر ذلك وفي غضون أشهر أجري استفتاء عن رأي الشعوب الأوروبية الغربية اتجاه النظم الغربية، هل تلبي طموحاتها في الحرية، والعدالة، والتنمية، والسعادة، والازدهار فكانت النتيجة أن الأكثرية أجابت بالنفي، مما أذهل نظم الغرب كثيراً، وقد تابعنا الأمر مع بعض المراكز الإسلامية الشيعية في تلك الدول.

وعلى أثر هذا الاستفتاء ـ الثاني ـ أجروا استفتاء ثالث في غضون أشهر أخرى عن رأي الشعوب الأوروبية الغربية حول النظام الأمريكي، ففوجئوا أن نظرتهم سلبية اتجاه هذا النظام.

وقد طبع كتاب مؤخَّراً لأحد أكبر مراكز الدراسات

الاستراتيجية الفرنسية المخصص لدراسة جغرافيا السياسية للشيعة في العالم[١]. هذا الكتاب يقول إن المنافس الحضاري الخطير لنا هو التشيّع وليس شيئاً أخر وأن الشيعة صارت أفقاً يصعب تخطيه، ليس بالنسبة إلى المهتمين بالشؤون الإسلامية أو إلى مؤرخي الأديان وحدهم، بل أيضاً بالنسبة إلى العاملين في مجال الجغرافيا السياسية... وإنها ديانة أخروية، تشدد على نهايات التاريخ الإنساني، وهي تنفتح على العالم، لتصبح ديانة تغيرية.

وربما هذا ما حدى بهذا الكاتب وغيره من أصحاب مراكز الدراسات إلى الاقتناء بأن الشعوب في دول العالم تتطلع إلى مطمح أعلى من الحرية التي طرحها الغرب، ومن الديمقراطية، ومن فرص المشاركة الشعبية، وهذا الكاتب نفسه يقول نحذر ساسة الغرب من صاحب المشروع ويدعى المهدي إذا وصلت شعاراته إلى شعوبنا سوف يكون ولاء شعوبنا إليه لا إلى أنظمتنا، لأنه يرفع شعارات يسيل لها لعاب فطرة البشر أكثر مما نسوقه نحن، يقول إنَّ السِّر في بقاء الشيعة وتنامي عددهم وقدرتهم هو خفاء المهدي عجل الله فرجه الشريف الذي يديرهم ويدبرهم حيث يقول:

---

(١) الشيعة في العالم صحوة المستبعدين واستراتيجيتهم للكاتب فرنسوا تويال.

هذهِ الفكرة عصيّة على الفهم، فالأمر ليسَ «**صعوداً إلى السماء**»، كما في الدين المسيحي، بلْ غيبة شاءها الله كي يسمح لمحمد المهدي بأنْ يقود الناس بطريقة خفية. وفكرة غيبة الإمام هـذهِ لها لـدى الشيعة تأثير مهم على محتوى هـذا الإيمان ونتائجه؛ لأنّها تفسير طابعه النهيوي، فالشيعة ينتظرون نهاية العالم وعودة الإمام، باعتبار أنَّ هذهِ العودة هي، بشكل أو بآخر، نهاية التاريخ وانتصار الله في مصائر البشر.

إضافة إلى موضوع غيبة الإمـام وانتظار ظهوره يتميَّز الشيعة بـالأهـميـة الـتـي يعلقونها عـلـى شـرح النصوص وتأويلها[١].

ولا نريد الخوض في هـذا الجانب كثيراً، ولكن هذا الديباج الاستبرقي المرسوم في أذهـان البعض عن الغرب، يحتاج إلى معايشة الغرب وليذهبوا إلى الأحياء، وما خلف الـشـارع الـعـام في نيويورك مثلاً لينظر إلـى تـردي المعيشة والخدمات، والـى الفقراء والمحرومين بلا مـأوى ومسكن، ولينظر إلى الإجـرام في المقاهي بحيث لا يأمن الإنسان على نفسه، هذه هي أحد وجوه الحضارة الغربية، إما قناعها الدعائي الذي هو الشاشة البصرية (التلفزيون) فهو سحر طلسمي كاذب،

(١) المصدر السابق: ٣٩.

وإن شعوبهم تئن ولكن لا يصل أنينهم وصراخهم إلينا، عصابات تحكم ولا يدعون شعوبهم تتنفس.

رغم أن هناك فارقاً في المقياس والميزان في معيار التمدن غير إنّا نأخذ ونقيس في هذه الدراسة والمقارنة بمسطرتهم، وفي المجتمع الحسيني الجانب المادي عملاق باعترافهم، فلا يرى فقير، أو متأوه، وإنما يوجد تكافل منقطع النظير، ومرّت بنا الإشارة إلى الأرقام المادية أما الأرقام الروحية فإنها مذهلة.

قواعد نظام أهل البيت عليهم السلام العالمي:

النظام له قواعد ولا يمكن أن يكون هناك نظام من دون قواعد، وهذا مسلّم به في العلوم المختلفة سواء العلوم الإنسانية، أو العلوم الإدارية، أو الاستراتيجية، وهذا النظام الذي شوهد في المجتمع الحسيني ولمس وتحسس الآن لا يمكن نكرانه.

وهناك حالياً باحثون غربيون وشرقيون من مختلف القارات في صدد دراسة قواعد هذا النظام، وكيف يتحلّى ويتميز هذا النظام بقواعد.

وكيف يمكنهم اقتباس أو اقتناص ومعرفة هذه القواعد و الاستفادة منها في مجتمعاتهم ونظمهم، لأن مدرسة أهل البيت عليهم السلام نظم ونظام قاهر وزيارة الأربعين إحدى

النماذج لهذه النظم، وإلا فهناك نظم لأهل البيت عليهم السلام قائمة منجزة، وأبنية مجتمعية قائمة ونحن لا نشعر بها لأننا في وسط رغيد ونعيم وجنان، والآخرون يشعرون بها وقد لمسوها وراقبوها والتقطوا صوراً منها، وتقارير ودراسات وليس زيارة الأربعين فقط وإنما الأربعين هي نموذج من الشعائر الحسينية.

وقد أشار أكبر مركز[١] دراسات استراتيجية في فرنسا متخصص حول الشيعة والتشيع ذكر أن أحد معاجز النظم في نظام أهل البيت عليهم السلام ـ كنموذج أخر ـ أنه كيف يمر أتباع أهل البيت عليهم السلام طوال قرون في حالة استئصال دائمة من قبل الحكومات والأنظمة السياسية على طول التاريخ وهم لا يزدادون على ذلك إلا بقاءً وقوةً واتساعاً وتألقاً وبريقاً، وتبقى في حالة غليان سياسي دائم[٢].

وفي مورد أخر يقول: فالشيعية، سواء أكانت في تركيا أو في إيران، في الخليج والبلدان العربية، وحتى في باكستان والهند، قد صارت الآن جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الدولي والعالم الإسلامي[٣].

---

(١) الذي يديره الكاتب السابق ذكره فرانسوا تويال.
(٢) المصدر السابق: ١٦٤.
(٣) المصدر السابق: ١٧٢.

وهذا ليس صدفة، ولا توجد هناك صدفة في الظواهر الاجتماعية، وإنما هذا تابع لنظام وإلا فتكالب كل قوى البشر على أتباع أهل البيت عليهم السلام وهم لا يزدادون إلا قوة واتساعاً وتألقاً وبريقاً وتوهجاً وجاذبيةً للشعوب والحضارات الأخرى، هذا نموذج أخر لإعجاز نظام أهل البيت عليهم السلام.

نظام الحوزة العلمية في الدراسات الغربية:

وهناك نموذج آخر، ونظام معجز، ومبهر اكتشفه ولمسه الغرب في الوقت الراهن وفي الأوان المعاصر في نظم أهل البيت عليهم السلام، وهي دراسة أقامتها وكالة أمريكية بعد سقوط نظام الطاغية، حيث صدر كتاب من عضو الهيئة المركزية لهذه الوكالة واسمه مايكل بروند، وهذا الكتاب خصّصت دراسته حول شيعة العراق وخصوصاً حول الحوزات العلمية الدينية للشيعة وبالذات حوزة النجف الأشرف، أن فيها نظاماً قد عجز النظام الأمريكي، والنظام البريطاني عن تفكيكه.

يقول الكتاب: إن النظام الأمريكي والبريطاني كانوا يزودون الطاغية ـ كل سنتين أو ثلاث سنين ـ بأحدث النظم الأمنية المعدّة في العالم وآلياتها الإدارية، واللوجستية، والمعلوماتية، ورغم كل ذلك فشلوا في اختراق الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وربما بعض الإحصائيات تقول إن مئات

المجتهدين المسلم اجتهادهم ـ غير الخطباء والمستويات المختلفة من رجال الدين ـ قد أعدمهم هذا الطاغية الشرير (صدام)، فقد كان هناك أفراد مجندين أمنياً لدى النظام السابق وربما ألبسهم الزي الحوزوي ومع كل هذا عجز عن اختراقها، رغم أنهم كانوا يزودونه بأحدث الخطط الأمنية، ونظم الأمن العصرية، ولم يذكر هذا الكاتب أو هذه الدراسة أسباب هذا العجز.

لاحظوا المنافسة والتحدي بين نظام الحوزة العلمية الذي بناه أهل البيت عليهم السلام من زمن النبي وعلي والحسنين وزين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب العصر والزمان صلوات الله عليهم.

هذا النظام الحوزوي كيف تقر إدارة أكبر دولة عصرية، أنها عجزت وأخفقت عن اختراقه والسيطرة عليه، فأي إخفاق أخفقوا، وأي تحدي لنظام الحوزة الذي تقوم به نظم عالمية عصرية ذات تقنية تكنولوجية هائلة، عجزوا ولم يستطيعوا وإلى يومنا هذا عن اختراقه في مدينة صغيرة وهي النجف الأشرف، ولا توجد فيها أي قلاع، أو أي حصون، أو أي أجهزة مراقبة في هذه الحوزة المقدسة، وعلى مدى الثلاثين عاماً، أي نظام هذا غير مرئي وآثاره ملموسة ومحسوسة، وأي عجز هذا الذي عجزوه ولا زالوا وبحمد الله عاجزين.

هذا النظام الحوزوي البعض منا ـ للأسف ـ لا يقيمونه ولا يثمنونه، بل البعض من المثقفين الذين هم من أتباع أهل البيت عليهم السلام ينظرون إلى هذا النظام بنظرة دونية، وأنه مغلق أمام التطور والتحضر، وربما الكثير من إخوتنا المنتسبين لهذا اللباس ربما ينظرون إليه أن نظام الحوزة لا نظام، وأنه ركام متكدس عفوي.

ولعلّ البعض يتساءل ويقول أي غلبة وإنجاز للنظام الحوزوي الذي غلبت به النظم الغربية الدولية المعاصرة؟!.

القوة الأمنية للحوزة العلمية:

الجواب بسيط على كل تلك التساؤلات والاستفهامات المعقدة والمبهرة إذا تأملنا هذا النظام جيداً، وهو أن نظام الحوزة الذي يبدأ من قمة الهرم من المرجعيات، إلى الفقهاء، إلى المجتهدين، إلى المتجزئ في الاجتهاد، إلى الفضلاء، إلى أساتذة الحوزة، لم يستطيعوا أن يجندوا لهم أستاذ بمستوى تدريس كفاية أو أستاذ مكاسب معتبر موقعه ويحتل مكانة مرموقة في الحوزة، مع كل هذه الإمكانيات وهذه الأموال التي يتمتع بها العدو، ومع كل هذا الترهيب والتصفية الدموية لم يستطيعوا بها أن يفعلوا ذلك، فكيف يستطيعون أن يسيطروا على مقدرات الحوزة، وفعاليتها، وأنشطتها، وفكرها، وعقلها،

ولسانها، وعينها، ويدها، ولا زال جسم الحوزة العلمية في كل العالم سليماً عن سيطرة أعتى القوى في العالم، وهذا ليس صدفة أبداً بل هذا إعجاز راهن من نظم ونظام أهل البيت عليهم السلام، نلمسه ونثمنه ونقيمه كما أن الخصوم لمسوه وقيموه وكتبوا فيه دراسات كثيرة، وللأسف الشديد أن الكثير من أبناءنا غافلون عن هذه الحقيقة العظيمة المتوهجة، وكم ينال من ألسنتنا من الداخل قبل الخارج، ومن هذا الزي وللأسف قبل أزياء أخر من هذا النظام الحوزوي العملاق، رغم أن أعظم حضارات العالم تعترف ـ في هذا الكتاب وفي كتب أخرى ـ بهذا النظام الحوزوي المعجز.

ومن الطبيعي أن نظام الحوزات هو دون نظام شعائر الحسين عليه السلام، فان النظام الشعائري الحسيني أعظم من نظام الحوزة بحسب كلام الكاتب الفرنسي، فهناك دراسات كثيرة لديهم يلمسون معجزات منظومة ونظم ونظام أهل البيت عليهم السلام، فأهل البيت عليهم السلام الآن في الظاهر غير مرئيين، والإمام الثاني عشر غير مرئي، فكيف بنوا هذه القلاع في البشر التي هي عبارة عن رئة تعطي الأوكسجين ليتنفس روح المعنويات، وروح العدالة، وروح السلم، وروح الأمن، وروح القيم، في عصر توحل البشر في التوحش السبعية، وفي النجاسات الأخلاقية الرديئة.

السقوط الحضاري للغرب:

في مدينة لندن وحدها هناك الملايين من العدسات للمراقبة، وهكذا في مدينة نيويورك، وفي واشنطن، و كم هي فرق الأمن المنتشرة، وكم هي فرق الاستخبارات لحراسة الأماكن الحساسة، ومع كل هذا نسمع بين الحين والآخر الكثير من الخروقات الأمنية واكتشاف بعض الجواسيس الأجانب، وأين هذه من النجف الأشرف وحوزتها، ما هذا الحصن الحصين في النجف الأشرف.

وهناك محطتان نوويتان إحداهما في بريطانيا وتابعة لأمريكا فيها صواريخ حاملة لرؤوس نووية عابرة للقارات، والقاعدة الثانية في أمريكا، وقد اعترف مؤخراً النظام الأمريكي أنه اكتشف في كلا هاتين القاعدتين أن الضباط الذين يديرونها جميعهم يتعاطون المخدرات، وهذا يعني أن الأمن البشري مهدد، إذ هؤلاء يحتمل أثناء تعاطيهم المخدرات أن يضغطوا على أزرار التشغيل وماذا سوف يحصل في العالم؟!، ستتفجر الأرض مئتين وخمسين مرة نووياً، والبعض قد يدعي الصدفة في ذلك ولكن الواقع ليس فيه صدفة في هذا الأمر.

نعم لا ننفي أن عندهم تقنية وايجابيات وقوى يجب أن نكتسبها، فكل ظاهرة بشرية، وكل مجتمع بشري لديه إيجابيات

وهذا منطق القران الكريم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١]. ولكن عندما نقايس الأمور من الجانب الآخر، ونستعرض قائمة التهاوي والسقوط الحضاري الموجود عندهم لاحتجنا إلى بحوث وإحصائيات عديدة، وهكذا لو دققنا في الملفات الأخلاقية لرموز السلطة في كل الدول.

سر نجاح نظام التشيع:

ولذلك نراهم في حالة انبهار من نظام الحوزات العلمية، وهذا النموذج فيه أبعاد عديدة لو أريد ملاحظتها ويستغرق دراسات كثيرة، وهذه الأبعاد قد ذكروها واكتشفوا أن الحاكم المطلق في هذا النظام الحسيني في الحضارة الحسينية ـ والأربعين نموذجاً ـ، وكذلك في نظام الحوزة العلمية، وفي نظام التشيع هو القيم والمبادئ والفضائل هي أحكم الحاكمين وأكبر مسيطر على نسيج الشيعة والتشيع، وليس المسيطر الأول هو الحاكم السياسي أو الثورات الشيعية أو مواقع القوى الشيعية، هذه هي القواعد الرئيسية الأخطبوطية الباهرة الصعبة للنظام الجعفري، والذي لا زال يرغم أنوف البشرية عن المنافسة، وأننا نعيش في رغده،

(١) سورة الحجرات: ١٣.

ونعيمه ولكن ـ للأسف ـ نحن لا نشعر، ولا نثمن، ولا نعلم، ولا نعي هذه النعمة العظيمة.

وهـذا النظام عـرف بناه سيد الأنبياء ﷺ، وبناه سيد الأوصياء عليه السلام، وبناه سيدة النساء عليها السلام، وسيدي شباب أهل الجنة، وسيد العابدين، وسيد علماء الأولين والآخرين الباقر، وسيد الصادقين، وسيد الكاظمين، وسيد الأجودين، وسيد الهادين، والحسن العسكري، وبناه سيد أولياء الأمور القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف وليس وليد الصدفة العفوية.

وهذا النظام وهذه القواعد لا زالت هي المسيطرة، ومن ثم يصعب السيطرة عليه، مع أنهم يحاولون جهد إمكانهم محاربة ومجابهة هذا النظام، وهناك قاعدة أخرى اكتشفوها في نظام أهل البيت عليهم السلام وهي أحد أسرار هذه النظم والحضارات وهي العلم والوعي العلمي لدى هذا النظام العملاق، حيث أن باب الاجتهاد غير مغلق، وباب النقد غير مغلق، وباب الاطلاع على الرأي الآخر غير مغلق.

حالياً توصل العقل البشري إلى تعدد الـقراءات بينما مذهب أهـل البيت عليهم السلام منذ أربعة عشر قرناً دائماً ينادي بالقراءات لكن مع الفارق مع الحداثويين أنه لا بُدَّ من كون القراءات طبق موازين، وطبق الاحتكام إلى قواعد انفلاتاً بل

انضباطاً مقيد بموازين وأحكام وقواعد، وهذا سر عظيم في قواعد الحضارة.

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا، أن هناك ثلاثة أنظمة اكتشفها الغرب في نظام وإدارة مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهي:

١ ـ نظام أهل البيت عليهم السلام للمذهب الشيعي الاثنا عشري.

٢ ـ نظام الحضارة الحسينية وزيارة الأربعين أنموذجاً.

٣ ـ نظام الحوزة العلمية.

نظام خصخصة الدولة:

إن العلوم الاستراتيجية الراهنة، والعلوم السياسية، وعلم الدولة، وعلم البلديات، وعلم التنمية الإنسانية، وعلم التنمية الاقتصادية، وعلوم كثيرة أخرى لديهم جدلية معروفة في النظم، وهي خصخصة الدولة، أي جعل الكثير من المرافق التابعة للدولة بيد القطاع الخاص ولكن بشكل منظم، فالدولة التي يبني أسسها ومنظمتها البشر بدلاً من أن تكون ناظماً أصبحت حابساً للطاقات، ومعوقاً لتنامي وعقبة أمام تفجر الطاقات، مع أن دور ووظيفة الدولة عبارة عن مؤسسة تحاول أن تدبر وأن تنظم بين الثابت والمتغير، وهذا الناظم بين الثابت والمتغير إذا لم يوفق سوف يكون حابساً للطاقات، ولا بد من معرفة كم هي ساحة

المتغيرات في كل حقل، وفي كل بيئة، ومعرفة مساحة الثابت، وكم هي درجات الثابت، وهل درجات الثبات فيه على وتيرة واحدة، وهل المتغير على درجة أو على درجات، ولا بُدَّ من معرفة درجة التغير، وسرعة التغير، وبطء التغير، ثم الإحاطة بكل الآليات التوفيقية بين الثابت والمتغير كي لا يصادم أحدها الآخر وهذا بحث مهول.

وينادي بهذا الشعار والهدف نظام التجارة الحر العالمي على أساس أنه يغاير النظام الرأسمالي، ويغاير نظام البورصة، ويغاير النظام المصرفي الموحد، ولماذا ابتكروا هذا النظام وغيره من الأنظمة الأخرى؟.

والعلل وراء ابتكار هذه الأنظمة أنهم رأوا أن الدولة على شاكلتها الراهنة بدلاً من أن تكون ناظماً قد أصحبت حابساً لفرص التنمية، حابسة لهذه الطبيعة التي خلقها الله من البشر ومن البيئات الأخرى بما لها من النظام الروحي لها، والنظام البدني لها، والنظام النسيج المجتمعي لها، وأن لها معادلات لم تكتشف إلى الآن في العلوم ولا زال يواصل البشر اكتشافها لأجل التنمية والرقي.

ولو أردنا استعراض ما ذكره نخب البشر في مراكز الدراسات من إخفاقات العالم البشري في القرن المنصرم لطال

بنا المقام لكثرتها، وهذا يعني أن المسيرة البشرية العلمية ليست كلها تنمويات في كل جوانبها العديدة، نظير قضية ثقب الغلاف الجوي (طبقة الأوزون)، وانتشار الأمراض الفتاكة كالإيدز وغيره، والحروب العالمية، وانتشار الإرهاب في العالم، والأزمة الاقتصادية، وكل هذه إخفاقات مدمرة للشعوب، وكل هذه الأزمات تحاول أن تحرق البشرية. لا سيما أن المحرقة والطاحونة في هذه الأزمات أشدّ رهبة من المحارق السابقة.

وهكذا الحروب الباردة والأمنية الاستخباراتية على حلفاء نفس الدولة الكبيرة وغيرها من الأزمات التي تجحف البشرية أيضاً.

التقرير المنصف لأمير المؤمنين عليه السلام:

وشهد شاهد من أهلها:

قبل فترة[1] كتب أحد المنظرين الاستراتيجيين في مدينة الرياض تقريراً قد تجاوز فيه الخطوط الحمراء للنظام الحاكم، وقد نشر هذا التقرير في جريدة الرياض وهو دراسة عميقة وجريئة تحت عنوان من أول من شرّع الإرهاب أو التكفير في الإسلام، بجرأة ودراسة عميقة ولازال اللغط في الطرف الأخر

(١) سنة تقريباً

في مواقع النت، ولا زال الجدل محتدماً حول هذه الدراسة المهمة نتيجة هذه الدراسة عند هذا المنظّر الاستراتيجي حيث يقول إن أول من شرّع الإرهاب والتكفير هو الأول الذي استولى على الخلافة، وهذا المستولي عليها لم يتحمل معارضيه فكفّرهم لكي يقضي عليهم باسم حروب الردة، فهو لم يستطع أن يستوعب المعارضة بل أراد قمعها والقضاء عليها، وفي نفس التقرير يقارن بينه وبين الإمام علي عليه السلام فيذكر كلام مهول عن شخصية الإمام علي عليه السلام، كتب حول هذه الشخصية العظيمة بهذا الأسلوب، فيقول ما أعظم قدرة هذا الرجل في إدارة المجتمع وخصوصاً مع قوى المعارضة من دون أن يستخدم أي قوة مع قدرته على ذلك، فلم يهيّئ أو يعبّئ الوضع عنفاً أو قسوةً أو شدةً مع أطراف المعارضة ما دام المعارضون باقون على أسلوب السلم وإبداء الرأي، حتى في حرب الجمل أو صفين لم يكن البدء في القتال من علي بن أبي طالب عليه السلام بل من الطرف الآخر، فالعظيم في شخصية علي أنه يستطيع أن يحافظ على قوة الدولة بنهج سلمي بلا أن يستخدم سطوة الشرطة، أو سطوة الجيش أو سطوة الاستخبارات، وكتب: لم يعهد التاريخ من أول يوم إلى يومنا هذا أن يحافظ الحاكم على قوة الدولة بنهج سلمي غير النبي وعلي صلوات الله عليهم، بل حتى الأنظمة الأوروبية التي

تدعي ذلك لا تستطيع أن تستخدم هذا الأسلوب السلمي مع المعارضة، فقد قمعت عشرات المظاهرات في المدن الأوروبية مع أنهم اعتصموا في الحدائق العامة فقط ولم يبدؤوا بأي عنف أو اضطرابات، وإن حاولت بعض الصحف تلفيق ذلك كما حصل في قضية وول ستريت، وحركة احتلوا وول ستريت، فلم يستطيعوا أن يديروا الأمر سلمياً أبداً.

أسرار قواعد النظم عند أهل البيت عليهم السلام:

إن التعاظم في قواعد النظم التي عند أهل البيت عليهم السلام غير مرتبطة بقوة ساخنة، بل أنها مرتبطة بقوة ناعمة، ونظام عقلائي، ونظام روحي، وهذه هي أعمدة المبادئ والقيم، بينما الطرف الأخر يستفز من له هذه المبادئ ويستخدم التضليل الفكري الإعلامي، ويستخدم سفك الدماء، وشعلنة الوضع، وهذا لا يقتصر على هذا العصر بل منذ قديم الزمان لأنه يرى منطق المبادئ لمدرسة أهل البيت عليهم السلام منطق جذاب وبه ينتشر في العالم، فأهل البيت عليهم السلام يعلمون أين هي أسرار وأسباب القوة والقدرة وبأسلوب سلمي، والإمام الصادق عليه السلام يبين جوانب من هذا النظم، عن عمار بن أبي الأحوص عن الصادق عليه السلام: «أما علمت أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعسف والجور، وأن إمامتنا بالرفق والتآلف والوقار والتقية

وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وفي ما أنتم عليه».

إذاً مهما تسافل البشر، ومهما أعرض البشر عن هذه الجوهرة العظيمة الموجودة في نفوس البشر تبقى هذه الجوهرة موجودة وعظيمة.

إثارات وتساؤلات

الإثارة الأولى: زيارة الأربعين والناظم المرئي

إن حضارة الإمام الحسين عليه السلام تنافس وتفوق كل الحضارات وفي كل الأبعاد بما فيها الأبعاد المادية، ومن هنا قد يستشكل البعض من أن هذا النظام أو الناظم في زيارة الأربعين غير مرئي، والعالم أو الشعوب تعلّمت وتطلب وتريد وجود الناظم المرئي، فكيف يمكن لنا أن نسوق ونصدر هذه الحضارة والنظام إلى باقي الشعوب؟!.

والجواب:

من المعلوم أن عدد الزائرين وصل من عشر ملايين إلى ستة عشر مليوناً خلال السنوات الماضية، وكان وصول هذا العدد وتجمعه وخروجه في رقعة جغرافية مكتظة ومزدحمة بالسكان، وفي أوان وزمان ومدة وجيزة، وههنا العظمة الخارقة الإدارية النظمية في إدارة وتدبير وتوفير كل خدمات ووزارت

الدولة الأمنية والصحية والمرورية وغيرها من الخدمات والنظم المطلوب، وكيفية توفر آلية لوجستية إدارية مادية، تستطيع أن تفعل كل ذلك؟!.

ففي مدينة واشنطن ـ مثلاً ـ، أو نيويورك، أو لندن كيف يمكن لنا أن نتصورها إذا أرادت إدارة الدولة ومحافظتها البلدية أن تدير كل هذا العدد من خلال إدارة مادية لوجستية، وماهية كيف يكون النظم الصحي والمروري والأمني والغذائي، حالياً دولهم تقدم الخدمات لمجتمعاتها ولكن هذه المجتمعات ليست متكدسة مليونية بنحو دفعي، وإذا حصل لديهم أي اولمبياد بشري، أو علمي، أو رياضي، وليست تلك الحشود مليونية وإنما مئات الآلاف، فإنهم يجندون كل الوزارات لدول عديدة تبلغ العشرات تتكاتف وما لديها من تكنلوجيا وتطور وطاقات لغرض السيطرة على هذه الأولمبياد وإنجاحها، ومع كل هذا تحصل لديهم إحصائيات كبيرة في خروقات لا يستطيعون أن يسيطروا عليها، ولو دققنا في التقارير التي تنشر ـ فضلاً عن التقارير السرية التي هي تحت طي الكتمان أو ما وراء الستار ـ لرأينا كم هي الإخفاقات، والإسفافات، والرذائل الحاصلة من تكدس أجتماع بشري لبضع مئات الآلاف، وهذه ليست صدفة فلا صدفة في منطق العلم بل لا بُدَّ أن تكون هناك معادلات ونظم، فهناك فرق بين

تقنية مادية في معرض للبيع وبين تقنية مادية للتفعيل والإنجاز، فهذا هو ناظمهم المرئي.

قبل سنتين أقاموا في جنوب أفريقيا أولمبياد، وهذا الأولمبياد يجمع بضع مئات آلاف من الناس وليس الملايين، وقد أخذوا العدة والتأهب، وتعاونت حوالي أربعين دولة في التأمين الغذائي، والصحي، والأمني، وتأمين النقل بكل صنوفه، وقد حاولوا جهد إمكانهم أن يتجاوزوا بعض الحوادث، ومع ذلك سجلت عليهم عدة إحصائيات في إخفاقات.

في حين لو نظرنا إلى الظاهرة الحسينية وباللغة الرقمية والرصد الإحصائي العصري، وبغض النظر عن الجانب الروحي بل بالنظر إلى الجانب المادي الملموس، وهذه إدارة وتدبير لنظام آلية لوجستية ملموسة لا يمكن لأحد إنكارها.

إن هذه الظاهرة الحسينية النظمية استقطبت أنظار أطراف دولية، بادرت فرق دراسة ميدانية، ومراكز دراسات تتابع هذه الظاهرة، وصدرت مقالات في صحف عديدة في الدول الغربية تنقل تقارير ومشاهدات عيانية حول هذه الزيارة أو الظاهرة، وفي الصحف الإسرائيلية قبل خمس سنوات ركزت على ظاهرة الأربعين، ولم تكن مراقبتها وقرائتها لهذه الظاهرة بأنها شيء عابر وصدفة، ومر بنا أن النظرة العلمية لهذه الظاهرة المنظمة

لا بُدَّ أن تستند إلى نظام ظاهرة منظمة معينة، ولا يمكن أن تستند إلى عفوية الصدف والفجأة، والعلم يرفض السفسطة لأن السفسطة تقول بالفجأة والصدفة، أما العلم فيقول: إن هناك نظاماً علمياً لا بُدَّ أن نكتشفه، وهم لا يذكرون هذه التقارير من باب محبتهم أو انجذابهم لهذه الظاهرة وإعطائها رونقاً وحسناً وبهاءً ونضارةً وروعةً، بل إنهم يرون أنها ظاهرة فيها قوة ونظام متطور مخفي أو سري فلا بُدَّ من معرفة هذه القوة وهذا النظام.

فهذه الظاهرة النظمية ليست عفوية، ولا يمكن لنا أن ينظر إليها نظرة سطحية ساذجة، فليس في الأمر عفوية بل الأمر منظم مدبر مدار، وهؤلاء يدرسوا هذه الظاهرة كما درسوا ظاهرة النظم في النمل، وانتبهوا لها للإدارة الفائقة المنظمة لتجمعها فلا محالة ينجذبوا إلى دراسة ظاهرة الأربعين، والمنهج العلمي هو أن تدرس الظواهر المحيطة وتؤخذ عناصر قوة.

الإثارة الثانية: زيارة الأربعين والدولة السياسية

يقول الإمام الحسين عليه السلام: «ومثلي لا يبايع مثله»[١].

وفي قول آخر: «إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام، إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد»[٢].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤: ٣٢٥.

(٢) بحار الأنوار ج٤٤: ٣٢٦.

وهذا يعني أن هناك بُعداً سياسياً في القضية الحسينية، فأين هذا البُعد السياسي في الزيارة الأربعينية، وبعبارة أخرى إذا أردنا أن نتحدث عن الحضارة الحسينية فالمفروض أن نتحدث عن دولة، فما هو شكل هذه الدولة السياسية التي تدعو لها زيارة الأربعين.

الجواب:

لو أمعنا النظر في إفرازات ظاهرة الأربعين أو الشعائر الحسينية، هل نرصد ونحن في تلك الأجواء الروحية للإمام الحسين عليه السلام، تحكم فرعون، أو عاتي، أو متعدي، أو رئيس مستبد، أو مرؤوس مضطهد، وكم هي ظاهرة السواسية، وكم هي الفرص المفتوحة للجميع في المشاركة، ومن يراقب، ومن ينتخب، إنها دولة أخرى.

حينئذ إذا رجعنا إلى مدننا، وسياساتنا، وانتخاباتنا، ووزاراتنا، ودوائرنا، سوف نعيش هذه القواعد التي لمسناها من مجتمع الأربعين وتربينا عليها بضع أيام أو أسابيع ونطبقها من حيث نشعر أو لا نشعر، أو سوف نطبقها تلقائياً، هذه القواعد هي التي تخلق حضارة عظيمة، ولو استشعرنا هذه القواعد أكثر فأكثر، وانجزناها وبنيناها أكثر وأكثر في الشهور الأخرى، والجغرافية الأخرى فسوف نعيش النعيم طول السنة وليس فقط

في ظاهرة الأربعين، فكما أن الحوزة العلمية لا يمكن أن يسيطر عليها أحد ولا يخترقها نستطيع أن نجعل دولنا هي الأخرى لا تخترق أيضاً.

حالياً في العلوم والنظم السياسية الدولة أو الحكومة لا تقتصر على أبنية الوزارات، أو على الديكور للدولة، وإنما هناك دولة ظل غير السلطة التنفيذية، والسلطة القضائية، والسلطة التشريعية، والسلطة الإعلامية، بل هناك دول وليست دولة واحدة، ومن يقصد الدولة على الدولة المرئية، بل هناك دول أخرى غير محسوسة بالحس المركز، بل نحس بشيء من آثارها ولا نشعر بها إلا إذا التفتنا إليها بتركيز وتدقيق، وهي دولة تغاير الدولة المتكونة من الوزارات، فلا نحبس وعينا ورؤيتنا على الدولة المعهودة الرسمية فقط، لذلك يجرى البحث في العلوم السياسية في العصر الحالي لاكتشاف الدول المؤثرة الأخرى في المجتمع الواحد.

وبنيان الحضارة دولة ليست ذات مدة العشر سنين أو العشرين سنة، بل دولة ذات مئات السنين، كما هو الحال في دولة رسول الله ﷺ، فمنذ أربعة عشر قرناً ولا زالت تتسع، هذه هي الدولة الحضارية وليست دولة محافظات، أو دولة أقاليم، أو دولة فدرالية أو كونفدرالية، وينبغي علينا أن لا نهمل ولا نقصر وعينا وثقافتنا على منطق من العلوم في العقود السابقة أو

ما قبلها، فإننا في حالة تحديث معلومات، وهناك تطور علوم علينا أن نواكبها، ونفهم مدى الإعجاز في منهج أهل البيت عليهم السلام، ولا بُدَّ لنا أن نقرأ هذا الإعجاز النظمي الإداري بهذه اللغة العصرية، ونؤكد دائماً على المثقفين أن لا يقرؤوا الدين أو منهاج أو دولة أهل البيت عليهم السلام العظيمة بثقافة السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن الميلادي السابق، بل نقرأها بلغة عصرية، فإن العلوم البشرية تتطور اكتشافاتها الجديدة لقواعد ساعة بعد ساعة، ففي كل أسبوع هناك قفزات وانفجارات علمية جديدة ينبغي علينا أن نواكبها كي نقرأ ونفهم ما هو واقع الحقيقة، وهكذا في الفيزياء فكل ساعة يتم اكتشافات مذهلة تبرهن على إعجاز القرآن، وإعجاز بيانات أهل البيت عليهم السلام في العلوم.

الإثارة الثالثة: أربعة عشر قرناً تحت الظلم والسيف

إذا كان لدينا هذا النظام الذي يستطيع تنظيم الحياة خلال الزيارة الأربعينية، لماذا نعيش تحت الظلم والسيف منذ أربعة عشر قرناً؟!.

والجواب:

ذكرنا سابقاً بعض العبارات أو الشواهد عن كتاب الباحث

الفرنسي الذي قال رغم أن هؤلاء كانوا دائماً تحت وطأة السيف وقوة الأنظمة الجائرة فهم لا زالوا في توسع وبريق وتطور علمي وفكري عجيب، والرهان الآن في الساحة الدولية أن يكونوا هم النجم الطالع، وفي أطروحة مشروع الإمام الثاني عشر وهو أخطر على ساسة العالم من الشيوعية والاشتراكية ومن أي طرح أخر.

والأمر الآخر لو نظرنا إلى حياة الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام نموذجاً لوجدنا كيف كانت الدولة الأموية أو الدولة العباسية تخشى وتخاف من الإمام عليه السلام، وقد كانت الدولة العباسية آنذاك أكبر دولة في العالم، وتقدر آنذاك بخمسين دولة حالياً، مع أن الإمام عليه السلام لم تكن لديه أي قوة عسكرية أو أمنية ولا دولة إذا حصرنا مفهوم الدولة بهذا المفهوم الحصري الضيق، فلماذا كل هذا التخوف والخشية حتى وصل الأمر إلى حد السجن والتجسس عليهم والمراقبة الدقيقة ومن ثم تصفيتهم وقتلهم؟!، فإذا كان فرداً، معزولاً، نائياً، مقصى، لا حول له ولا قوة فلماذا يقتلوه؟!.

ولماذا يقتلون زين العابدين عليه السلام، أو الباقر عليه السلام، أو الكاظم عليه السلام أو الجواد عليه السلام؟!.

ولماذا رئيس أكبر دولة عظمى آنذاك وهو المأمون

يستدعي الإمام الرضا عليه السلام من المدينة المنورة إلى خراسان ويلجئه على قبول ولاية العهد في الخلافة ثم يسمه ويقتله؟!.

ولماذا الإمام الهادي عليه السلام لا تكتفي السلطة العباسية بالسجن السياسي للإمام الهادي عليه السلام بل تقوم بالسجن العسكري في أكبر قاعدة عسكرية آنذاك في العالم فلماذا هذا الاستنفار العسكري[1]؟!.

وهناك فرق بين حالة السجين السياسي وحالة السجين العسكري، فالسجين العسكري إنما تسجنه الدول لأنه يشكل خطر قوي متصاعد على الدولة، فتحيط به قوة عسكرية حتى تستطيع أن تأمن منه، فلو أبقوهم أحياء ولم يغتالوهم فسوف يكسبون سلمياً وبنحو القوة الناعمة خيوط القدرة ولا يمكن للسلطة الأموية والعباسية أن يعيدوا خيوط القدرة ويسلبوها منهم عليهم السلام إلا بالعنف، أما بالسلم فلا يمكن لهم ذلك أبداً.

ولماذا الإمام الحسن العسكري عليه السلام يسجن في أكبر قاعدة عسكرية في الأرض آنذاك وهي سامراء، وتحت رقابة عسكرية مشددة؟!.

مع أن السجين العسكري هو الذي لديه سيطرة وقوة

(١) راجع كتاب الحياة السياسية للإمامين العسكريين للشيخ الاستاذ.

عسكرية، إذاً لا بد أن نقرأ الحقائق بلغة عصرية وحديثة لمعرفة المزيد من نظم وقواعد مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

الإثارة الرابعة: الالتزام الديني أثناء وبعد الأربعين

في السنوات الأخيرة شارك مختلف شرائح الناس وبأعداد كبيرة في الزيارة الأربعينية، ولكن كم هي نسبة هؤلاء الأفراد المشاركين من الذين يمتثلون أو يتحلون بأخلاق أهل البيت عليهم السلام، على الأقل نلاحظ أن النسبة الفعلية للذين يصلون في أوقات الصلاة والذين يقومون بمساعدة الآخرين لوجه الله المتمثلين بأخلاق أهل البيت نسبة قليلة جدا. وهذا ظاهر في الأسواق الآن وفي تعاملنا مع بعضنا البعض نرى الكثير من الانحرافات إذاً أين ذهبت منا أخلاق أهل البيت؟ وكيف يمكننا احتواء هؤلاء الأشخاص المنحرفين المحسوبين على الطائفة ما هو الدور الذي يجب علينا أن نقوم به وكيف يمكننا الرد على مثل هذه الإشكاليات؟.

والجواب:

خلال ما شاهدناه عند رصدنا للمواكب رأينا القليل والنادر من يتخلف عن الصلاة، ولا ندعي أن هذه الإحصائية دقيقة، ولكن عندما يكونون في جو سيد الشهداء عليه السلام فسوف

يكونون في قمة الروحية، وعندما يرجعون إلى الفضائيات وجو التأثير الغربي يرجعون إلى التوحد، لذلك تؤكد أحد أدبيات ثقافة زيارات أهل البيت عليهم السلام أن لابد على الإنسان أن يداوم الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام وإلى الحسين عليه السلام، وإلى أمير المؤمنين عليه السلام، وكتأثير فكري وعقلي وروحي لنا يجب أن نطوف دوما فكرياً وعقلياً وروحياً بهذه المقامات، لأننا دائماً في حاجة إلى دوام الهجرة، وقد ورد في زيارات الأئمة عليهم السلام وزيارات الإمام الحسين عليه السلام هذا المضمون فقد ورد «**التمس كمال المنزلة عند الله وثبات القدم في الهجرة إليك والسبيل الذي لا يختلج دونك**»[١].

وكذلك ورد: «**واجعل لنا قدم صدق في الهجرة إليهم**»[٢].

يعني أن الهجرة طريق طويل، فينبغي علينا أن نهجر أعرافنا الخاطئة إلى المثل والوصايا التي أوصانا بها النبي صلى الله عليه وآله، ومن بعده وصيه أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه المعصومون عليهم السلام، فنحن بحاجة دائمة إلى التصفية من الرذائل (الفلترة) والتنظيف والتربية والتعليم.

وأن فسرت ظاهرة الأربعين بأنها ردة فعل لكنها ردة فعل

---

(١) كامل الزيارات: ٣٦٥. الكافي ج٤: ٥٧٦.

(٢) مصباح المتهجد للطوسي: ٧٥١ صلاة يوم الغدير والدعاء فيه.

ونزوع وانجذاب نحو النجاة والدفيء الفطري، وهناك تقارير تشير إلى أن الأنظمة الغربية ـ رغم هذا القصف الإعلامي والثقافي والنمط الرأسمالي للشعب الغربي ـ تتخوف من نبض الفطرة في الشعوب الأوربية والغربية الذي لا زال موجوداً ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فلازالت فطرة الشعب الغربي موجودة ومن الطبيعي أن حالتها في النقاء ليست كحالة الفطرة الموجودة عندنا، وقد جرت في تلك الدول استفتاءات حول النظام الإسرائيلي والأمريكي فوجدوا أن الفطرة الغربية لازالت نظرتها سلبية تجاه نظام إسرائيل ونظام أمريكا والنظم الغربية مع رفعهم شعار الليبرالية والديمقراطية، وقد منعت بعض الفضائيات العربية من بث هذا التقرير، فالشعوب الغربية تتطلع إلى ما وراء ذلك، وهذا التطلع يخيفهم، والدراسة موجودة وترجمت إلى العربية، ولذلك هم يخافون من أطروحة التشيع.

الإثارة الخامسة: التحسس من الغرب

لماذا لا نحتاج إلى الخارج ليعيننا على الاستشهاد على قضية وجود النظام عند المسلمين وعند الشعائر الحسينية؟.

---

(١) سوررة الروم: ٣٠.

والجواب:

نحن لا نقصي عقول البشر عنا، ولا نتحسس من البشر بل نشارك البشر في عقولنا وعقولهم، ولا مانع من ذلك، ولاندعوا إلى التقوقع أبداً ولا نتحسس من تقييم البشر لهذه الأمور، بل نشارك البشر في عقولهم، ويشاركوننا في عقولنا، ولا نرفع عصبية انتماء عرقي أو قومي، وعقل البشر لغة مشتركة ونلتمس تقييم الآخرين لنا إذا كان حيادياً علمياً، فهم أيضاً لديهم عقول ونحتاج إلى عقول البشر، والكفار ليس كل شيء فيهم كفر، فالنبي ﷺ منفتح على الكفار في الجانب البشري السليم فيهم، ومنطق الإسلام وأهل البيت عليهم السلام ليس منطق السيف والدم والإرهاب أطلاقاً بل لسان القرآن وأهل البيت عليهم السلام هو العلم.

وعندما نشارك الدول الغربية نقيم ونقدر دراستهم للظاهرة فلا ننظر إلى الغرب نظرة سوداوية مطلقة فهذا تعميم خاطئ، كما يجب أن لا ننتهل مما لديهم من الإسفافات والاسفالات التي عندهم بل يجب علينا أن نميز أين الإسفاف وأين هو التكامل عندهم، وأين تكمن عناصر القوة عندهم، ومنطق القرآن يقول ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾.

ولسنا في عداء مطلق مع الغرب أبداً بل القران يوصينا

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[١]، ولكن في آية أخرى قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢].

نعم عندنا حساسية من الروائح النتنة للغرب، ومن الفحشاء، والمثلية، والجنس المبتذل، وهدم الأسرة وتصدع المجتمع، التي هي أسباب الضعف في الكيان البشري، أما أسباب القوة الموجودة عندهم فنحن نكتسبها منهم، وهم يكتسبون منا نقاط القوة الأخرى، وهذا الأمر لا مانع منه فالقرآن الكريم يقرر التحالف مع أهل العهد والميثاق من الكفار.

الإثارة السادسة: الإسلام وأهل البيت عليهم السلام

لماذا لا نستعمل كلمة الإسلام بل نستعمل كلمة (أهل البيت) فجعلنا أهل السنة والجماعة ترتبط بهم كلمة (الإسلام) فيما نحن ترتبط بنا كلمة (أهل البيت)؟.

والجواب:

لا شك ولا ريب أن ماهية هوية الإسلام هي النبي صلى الله عليه وآله والقرآن وأهل البيت عليهم السلام، ربما البعض لديه رواسب ثقافية

---

(١) سورة الاسراء: ٧٠.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

فيشك في ذلك، أما نحن فلا نرى للإسلام هوية غير هؤلاء الثلاثة، فحينما نتناول باباً من أبواب الدين البعض يرى أن هناك بينونة بين أهل البيت عليهم السلام والإسلام، في حين أن القرآن يبين لنا أن عمود هذا الإسلام ليس الصلاة، أو الحج، أو العبادات الأخرى، يقول تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(١).

ومن يسمي هذا تطرفاً فإن هذا التطرف جاء من القرآن الكريم، فالدين عدل، وأهل البيت عليهم السلام عدل، فليس هناك بينونة بينهما، والدين فيه توحيد، وفيه نبوة، وفية معاد، وعمدة الدين أصوله، يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾(٢). فالله عزوجل ليس عدل القران وإنما هو فوق القران، والراسخون في العلم هم المطهرون، وهذه المعادلة مقررة في آيات سور عديدة من القرآن فضلاً عن الأحاديث النبوية المتواترة، ولا يمكن إهمالها، ولكن مشكلة البعض أنه يظن أن الدين شيء والعترة شيء أخر.

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

الإثارة السابعة: ظاهرة الأربعين والثورة الحسينية

لماذا تطلقون على الزيارة الأربعينية اسم ظاهرة أو حضارة أو قضية ولم تسموها بالثورة الحسينية؟.

والجواب:

هناك عدة جوانب في أنشطة أهل البيت عليهم السلام، فجانب من أنشطة أهل البيت عليهم السلام فيه طابع الثورة، وجانب منها طابع الشعيرة، وجانب منها حضارة، وجانب منها ظاهرة، وهذه لا تتقاطع ولا تتنافى مع بعضها البعض.

الإثارة الثامنة: الفرق بين المشي والحضارة أو الظاهرة

لماذا حصل هذا المشي والذي من خلاله تولدت هذه الحضارة أو الظاهرة، وكما هو معروف من تفسير الظواهر أن يكون على مرحلتين، الأولى تفسير الظاهرة، والثانية فهم الظاهرة، ولذلك المفروض أن نقول في قبال ظاهرة المشي ثقافة المشي، لأن الثقافة تسمح لنا بأن نتزود بطرق فهم السلوك البشري أو الإنساني، أما الحضارة فلا تزودنا بفهم السلوك الإنساني وإنما تزودنا بمفاهيم عامة وشاملة؟.

وهناك أزمة وجود يعيشها المجتمع أدت إلى قلق الكثير ويمكن أن نطلق عليه قلق وجودي، وأن أزمة الوجود معرفية في

تحديد المفاهيم الأساسية، بمعنى علاقة الشيعي بالمواطنة، وعلاقته بحقوق الإنسان، وعلاقته بالمفاهيم ما بعد الحداثوية، هذه العلاقات هل حاول أو أستطاع أن يجسدها المجتمع الشيعي (مجتمع المشي)، لأن الفشل على مستويات متعددة في المجتمع العراقي أو الإسلامي أدى إلى وجود القلق الوجودي، وهذا القلق هو رد على تركيبة روحية الإنسان الذي أصبح المجتمع فاقداً لهذه الروحية، فهل هذا المشي يعتبر رداً على هذا القلق الوجودي؟.

والجواب:

مشي الأربعين ليس مشياً فحسب بل لأنها عبادة عظيمة، وعبادة تهذيبية للإنسان، وان كان ماهية المشي آلية وليست حضارة، وليست استراتيجية، وهذه الآلية مشروحة في الفقه، ولذلك مارسها الأنبياء والأئمة بكثرة، فالمشي آلية وليس حضارة أو ظاهرة، والكلام في زيارة الأربعين ليس في المشي وإنما الكلام في المجتمع والإجتماع الذي يظل أسابيع في حياة إجتماعية مثالية، ولا يمكن أن نفسر هذا بالميل والميول، فالميل غير ناظم في علم الحضارات والاستراتيجيات، ولابد من ناظم لهذه الحياة الاجتماعية، فمن هو هذا الناظم؟ وكيف تمت هذه النظم؟، هذه الأسئلة وغيرها حالياً الغرب يثيرها، وليس الكلام

هنا في آلية خاصة، وفي طبيعة زمانية خاصة، ولا في طبيعة جغرافية خاصة، بل الكلام في حياة اجتماعية فجأة وبالملايين تمتلك أعلى نظام في بقعة جغرافية معينة، وفي بقعة زمانية محددة، وقد ذكرنا سابقاً كيف تستنفر الدول الكبرى مع بعضها البعض جميع وزاراتها الأمنية والخدمية لمؤتمر أو أولمبياد تجتمع فيه الآلاف وليس الملايين، وكأنما حالة حرب يعيشها المجتمع وخصوصاً في مثل هذه الأيام الذي ينتشر فيه الإرهاب الذي صنعوه، فانظروا إلى تلك الحياة الاجتماعية هناك وإلى الحياة الاجتماعية هنا في كربلاء الأربعين، وهذه ليست ظاهرة فجأة ولا صدفة في علوم الحضارات وعلوم الاستراتيجيات، بل هذه حضارة ونظام يجب أن يكتشفا، والغرب أمامهم شيء ملموس أسبابه.

ولذلك يصرون على اكتشاف قلق وجودي لدى الشيعة وشيعة العراق، لأنه لا يمكن تفسير بؤرة تعيش حالة الملائكية في أشهر وفي أزمنة متعددة، حيث أن الملايين من هذا المجتمع يخرج من بيئات الأرض ويعيش في بيئات أخرى، وليس له أي دعم لا من جهة التوزيع المالي أو الأمني أو الروحي أو المروري أو التكافلي بل يعيش حالة أخرى، هذا لا يمكن أن يفسر إلا بأن يكون هناك موروث حضاري معين لقواعد معينة ومركوز في نفوس أفراد المجتمع الحسيني في الأربعين، حيث

أنهم يعيشون تلقائياً فيه، وهـذا غير موجود في الجماعات البشرية الأخرى من المسلمين وغيره.

الإثارة التاسعة: الحكم وزيارة الأربعين

إن نظرتنا إلى قضية المشي وزيـارة الإمام الحسين عليه السلام تحتاج إلى عمق في التحليل والنظر والأستفادة منها، فلابد من أن يكون الحكم بيدنا لأننا الأصلح في الحكم، أما إذا بقينا نعتبر أن الزيارة هي الغاية وهي الحد الذي يجب أن نكتفي به، فهذا سيرجعنا إلى عهد المقابر الجماعية، والسؤال هو ماذا نريد أن نصل إليه من زيارة الأربعين؟.

الجواب:

هناك لقطة أو نقطة عظيمة يشير إليها الباحثون عن معجزة الحسين عليه السلام، وهي أن ثورة الحسين عليه السلام ليست ثورة مسلحة فقط، وإنما هذا بعد منها، بل هي نهضة، وثورة، وحضارة، فقد كانت ثورة شعبية منفتحة مع نظام إرهابي أموي، وبقيت هكذا لمدة ستة أشهر تقريباً ثورة عسكرية وثقافية وشعبية واجتماعية، وقد مسك مسلم بن عقيل عليه السلام زمام الأمور لأشهر في الكوفة، حيث ترهل الحكم الأمـوي في الكوفة فكانت إدارتها والتي تشمل الفرات الأوسط كلها بيد سيد الشهداء عليه السلام، في المقابل

كان هناك نظام بوليسي ما فوي إرهابي فاتك، ومع كل هذا لم يسجل أي خرق مدني أو شعبي واحد على هذه الثورة، ومن المعلوم أنه لا يمكن ضبط أي ثورة شعبية كما نراه اليوم في أوكرانيا أو سوريا وغيرها من الثورات، فقد كانت ثورة شعبية عارمة في كل العراق، بل في جملة من المستندات التاريخية، كانت هناك كتب لأهل الشام وصلت إلى الإمام الحسين عليه السلام. بل حتى الثورة الشعبية الكوفية التي كان قائدها مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة لم يسجل عليها أي خرق أو تصرف خاطئ مدني، بل لم يستطع هذا النظام البوليسي الإرهابي أن يصنع خروقات ويلصقها بثورة الإمام الحسين عليه السلام، فكيف نفسر هذا؟!.

في حين عندما دخل سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله مكة صارت هناك خروقات مدنية على يد خالد ابن الوليد، وتبرأ رسول الله صلى الله عليه وآله مما فعله خالد وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً ليصلح الوضع بتعويضات من بيت المال، ولكن قدر الله عزوجل أن تكون زبدة حضارته على يد سبطه صلوات الله عليه.

الإثارة العاشرة: الاختلاف في المنهج

إن أصل البحث يعتمد على شيئين منهج القراءة، والموضوع، واعتقد أن بحثنا هذا كان يعتمد على الموضوع

وهو الزيارة الأربعينية، والآن نريد أن نتحدث عن منهج القراءة، ونحن كأساتذة جامعيين نلاحظ أن هناك فرق بيننا وبين طلبة الحوزة وربما سبب ذلك يعود إلى منهج القراءة، والمنهجية قضية لابد منها، فمثلاً بحثنا هذا هل أن الزيارة الأربعينية هي ظاهرة أم حضارة، واعتقد أنها مسألة شاملة وهدف كبير بمعنى أن الأهداف التي ذكرت بعدها أهداف اقل منها، ونحن كفيزيائيين دائما نقول أن البشرية بقيت متأخرة لأنها كانت تتناول المواضيع الكبيرة، فكان العلماء ينظرون إلى الفلك، والى الرياح، والى الشمس، وإلى القمر، ولكن حينما نظرت البشرية إلى الذرة والى الإلكترون أصبحت العلوم أكثر تفصيلاً وفائدة، فمثلاً بحثنا هذا، لماذا المشي؟ بمعنى ننتقل إلى جزئيات التي من خلالها نصل إلى الكليات، ونحن كشعوب علمنا أن هناك أنبياء وأئمة يعطون الفكرة الكبيرة ونحن نحاول أن نطبقها، والآن أثبتم أن الحكومة التي عندنا من الإمام الحسين عليه السلام، وهذا نتاج جزئي من شيء كبير كلي، ونحن دائماً نلقي الأفكار الكبيرة ونحاول أن نصل إلى تطبيق هذه الأفكار، فحينما نقول أن زيارة الأربعين حضارة صار هناك إلتباس بين الحضارة الحسينية بما تحمله من قيم ومن عطاء الإمام الحسين عليه السلام، وبين ما نقوم به من مسير، فما نقوم به من مسير هو من نتاجنا وفهمنا نحن لهذه الحضارة، ومن المؤكد أن

الحضارة الحسينية هي اكبر بكثير من هذا الفهم الذي وصلنا إليه فهل أن هذه المنهجية نسير عليها أم نرجع إلى المنهجية القديمة؟.

الجواب:

القضية ليست قضية حوزة وأكاديمية بقدر ما انه في كلا الصنفين هناك منهج تحقيق ومنهج اجترار، ـ مثلاً ـ هناك برنامج لقاء مع نوابغ دوليين يبث على أحد الإذاعات لأحدى الدول الإسلامية وكان أكثر هؤلاء النوابغ من الموالين لأهل البيت عليهم السلام، فلماذا النجوم الدوليون في التخصصات قلة، ولماذا هذا الشخص أصبح قمة ونابغة، فهؤلاء الذين بلغوا القمة لا يحبسون في تخصصاتهم فقط بل يتابعون، وأن البعض منهم حوزويون ذهبوا في الأكاديميات وأصبحوا نوابغ دوليين في تخصصهم، ومع تخصصهم هذا فهم يتابعون دائماً النشرات التخصصية الدورية، والأحداث، والمفاجئات في تخصصه، ويتعامل هذا النابغة في تخصصه لا بالشهادة وإنما يتعامل بالعشق والرغبة، وهذا قليل في صنف الأكاديميين، فالكلام ليس في الصنف الحوزوي أو الصنف الأكاديمي، بل الكلام في أن الإنسان كيف يمكنه أن يتعامل ويتفاعل مع تخصصه.

والنقطة الثانية هي أنه لا يحبس نفسه مع التخصص، ففي

السبعينات أو الثمانينات كان الهم في الشعار العلمي هو أن يصبح تخصصياً، ثم رأوا بعد عدة عقود من السنين أنه لا يمكن لهم أن يقتصروا على تخصص واحد فقط بل لابد أن يلم بثقافة عامة وبتخصصات أخرى، والاتجاه الدولي حالياً هو على هذا، فبدل أن يقرأ محاضرة امتحان وسؤال وجواب أصبح المسار أن كل تلميذ وكل طالب وكل باحث ينتخب بحثاً على المنهج التحقيقي، والإنسان الآن يحاول أن يكتشف مجاهيل كبيرة، فما المانع في ذلك فلا يكبل نفسه بالروتين الموجود، ونحن لسنا في صدد الحسم بل في صدد تبادل المعلومات.

الإثارة الحادية عشر: الأدلة القرآنية وزيارة الأربعين

الحقيقة إننا بهذا الخطاب نخاطب عدة مجتمعات أولها المجتمع العراقي والمجتمع الشيعي والمجتمع الإنساني، ولكل مجتمع هناك خطاب خاص به، إذن نحتاج إلى معرفة نوعية، ومن هنا إذا أردنا أن نخاطب المجتمع الإنساني أو المجتمع الشيعي نحتاج إلى أدلة قرآنية، فهل توجد هناك أدلة قرآنية تثبت هذه الحضارة؟.

والجواب:

هناك نظام قرآني منظومي بينه أهل البيت عليهم السلام بشكل

بديع، ولكن باعتبار أن بحثنا في البداية كان بلغة مادية حسية، وأكاديمية مادية، كي لا يكون البحث تجريدياً في مقابل ما طرحه البعض وأن لا يكون البحث نظرياً فقط من دون أن يكون فيه إسقاطات أو تطبيقات.

أحد الأدلة الكبيرة على عبادة المشي في الفقه هو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[2].

فالمشي هو عنوان عبادي مذكور في الآيات والروايات، وقد بين القرآن الكريم أن المشي إلى بيت الله الحرام ليس المقصود النهائي منه الكعبة، أو الوقوف بعرفات، أو المزدلفة، بل كل ورائه غاية وأعظم غاياته ما صرح به القرآن الكريم ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[3]. ولم يقل تهوي إليه أي البيت الحرام بل قال تهوي إليهم، فبين

(١) سورة سبأ: ١٨.
(٢) سورة الحج: ٢٧.
(٣) سورة إبراهيم: ٣٧.

أهمية الحج لأهمية غايات الحج وهم أهل البيت عليهم السلام، وهم ذرية النبي إبراهيم عليه السلام، فالمشي مستقى من آيات الحج ومن آيات عديدة أنه المشي إلى أهل البيت عليهم السلام، وهو عبارة أخرى عن الأنقياد إلى هذا النظام الحضاري الموجود فيهم، فهم خلفاء الله.

الإثارة الثانية عشر: خلافة أمير المؤمنين عليه السلام والنظم والنظام

إن خلافة الإمام علي عليه السلام استمرت خمس سنوات وقد قتل الكثير في حرب صفين وغيرها، هذا دليل على أضطراب الأمر في خلافته عليه السلام فكيف تفسرون هذا من ناحية النظم والنظام؟.

الجواب:

أولاً: إن أي بحث إذا أردنا أن نقيمه سواء كان قانونياً أو حضارياً أو مالياً أو روحياً بل حتى الفيزيائي لابد أن نعتمد على رؤية أيدلوجية، وعندما نقول أن النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام علي عليه السلام إدارتهم عجيبة، وليس القول لنا بل الباحث المنظر في الرياض في مقاله في جريدة الرياض الذي مرت الإشارة إليه يعترف بذلك، عندما يقول هناك معجزة في إدارة الحكم لان خصوم

النبي وعلي صلوات الله عليهم لا يستطيعون انتزاع الحكم بالرأي السلمي أو بالنقد العلمي، أما أن يأتي الآخرون فيقتلون عليا فهذا بحث أخر، الآن في البيت الأبيض أو الكرملين أو في أي مكان أخر، كيف يمكن لك بالقوة الناعمة وبالرأي أن تسحب البساط من الآخر، لا أحد يستطيع ذلك، ما يدل على أن الطرف الآخر عنده من البيان والبرهان العلمي ما لا يستطيع أحد أن يأخذ الرأي العام منه، فكلامنا في هذا البحث، أما أن يأتي شخص ويقول أن هناك داعش متربص بخلخلة الأمن العام فكلامنا ليس في داعش، ولا في المفخخات بل كلامنا في قدرة أميرالمؤمنين عليه السلام.

ثانياً: إن إدارة النبي صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين عليه السلام ليس فيهما أي خرق أمني ولكن الخروقات كانت من الطرف الآخر.

الإثارة الثالثة عشر: الولاء الحسيني والمجتمع الملائكي

إن ظاهر الولاء الحسيني مصطلح شاع في الآونة الأخيرة جداً، وقد تكون بعض الشعائر بعيدة عن الموالات الحسينية، فخلال زيارة الأربعين يصبح المجتمع الإنساني مجتمع ملائكي ولكن اغلبهم يعود بعدها إلى أسلوبهم الذي قبل موسم الزيارة، والقليل منهم قد تؤثر في سلوكهم فيبقون على سلوكهم الملائكي، ولكن مع قلتهم ولكنهم مؤثرين في المجتمع ويقول

تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[١]، وقوله تعالى ﴿وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، ومن هنا يجب علينا استثمار هذه النخبة المؤثرة في المجتمع.

الجواب:

إن الولاء هو الأصل، ولكن الولاء لسيد الشهداء عليه السلام هو الأصل الأصيل، والموالاة هي نوع من التبعية والإنقياد والأقتداء، والقدوية الفكرية والعلمية، ولكن تجسد الولاء يحتاج إلى آليات ومن هذه الآليات الشعائر الحسينية وعلى رأسها وقمتها زيارة محمد وال محمد (صلوات الله عليهم)، وخلال زيارتهم عليهم السلام تكون هناك غربله روحية، لأننا نحتاج دائماً إلى تنقية (فلترة) فكرية وروحية، لأن أحد غايات وفلسفات الزيارة هي هجرة الإنسان من براثن البيئة التي يسكنها فيجد التغيير إلى المُثُل، سواء كانت هذه الهجرة (الزيارة) موسمية أو سنوية أو شهرية أو يومية، وعندما يرجع المهاجر من زيارة أئمة الهدى عليهم السلام إلى بيئته أو بيته يكون أكثر لطافةً وانشراحاً وكياسة، وهناك آيات وروايات عديدة تؤكد أن من القرب الجغرافي فضلاً عن الروحي والفكري من النبي صلى الله عليه وآله

(١) سورة سبأ: ١٣.
(٢) سورة يوسف: ١٠٣.

وسماع أحاديثه ومواعظه بالغ التأثير في روحية الإنسان وحالته، وتختلف حالته عن السابقة حتى أنهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ أنه عندما نبتعد عنك ونرجع إلى أسرنا ومنازلنا التي نعيش معها تتغير نفوسنا ونرجع كالسابق، فقد روي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: أما إن أصحاب محمد ﷺ قالوا: يارسول الله نخاف علينا النفاق قال: فقال: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكرتنا ورغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدها حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأنا لم نكن على شئ؟ أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: كلا إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتم الملائكة ومشيتم على الماء[1].

الإثارة الرابعة عشر: دولة الإحسان ونظامها

إذا كان الإمام الحسين عليه السلام هو الشرط الضروري لوجود الحضارة الأربعينية فهل يمكن أعتبار النقاط الآتية هي شروط كافية لهذه الحضارة:

---

(١) الكافي ج٢: ٤٢٣، باب في تنقل أحوال القلب.

أولاً: النظم: ولا أقصد بها النظام المركزي وإنما النظام الواقعي أي نظام الإدارة اللامركزية للبشرية، والذي يتجسد في العمليات التي تقوم بها سواء كانت هيئة المواكب أو الفعاليات الاجتماعية الأخرى، حيث تقوم في الأساس على المبادرة الفردية، فيحاول أن يعطي كل ما لدى الفرد من قدرة على العمل أي ليس هو نظاماً قسرياً بقدر ما هو نظام اختياري قادر على إظهار مكونات هذا الفرد للاندماج بهذا المجتمع.

ثانياً: الهيكلية الأخلاقية: وهي التي تتجسد في نمط من الأنشطة المجتمعية المستقات من البيئة العراقية بالذات، وليست بيئة أخرى توفر هذه الهيكلية لمجتمع الظاهرة، فدائماً هو مجتمع حركي غي مستقر.

ثالثاً: المنافسة: فالمجتمع يسمح بظهور المنافسة الفردية وهذه المنافسة تجسد روح الإبداع أو ما يسمى بعلم الاجتماع بالعمل الممتع.

رابعاً: إن الإنسان في هذا المجتمع هو إنسان فاعل وليس إنساناً منفعلاً، بعكس الإنسان الذي يعيش خارج هذا المجتمع.

وهذا هو **السؤال الأول** المتكون من هذه النقاط الأربعة.

السؤال الثاني: هل أن دولة الإمام الحسين عليه السلام هي دولة

المطلق الذي يذوب فيه النسبي أم هي جزء من مشروع حضاري يقوم على أساس خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء؟.

السؤال الثالث: هل دولة الإمام الحسين عليه السلام هي ظاهرة روحية بالأساس وحضارية بالنتيجة؟.

والجواب:

النظم لا يأتي من جهود فردية موزعة متبعثرة من دون ناظوم مركزي، فالمجتمع هل تديره دولة واحدة أم عدة دول مثلاً، فصيغة الفدرالية أو الكونفدرالية التي في بعض البقاع الجغرافية بالصورة والواجهة هي دولة واحدة ولكن بالدقة هي ليست دولة واحدة بل توازن إدارة عدة دول ذات أبعاد في المجتمع الواحد، لأن حقيقة السيطرة والسلطة أو الإدارة أو القوة أو النفوذ ليست واحدة وبناظم واحد، فهناك جيوب من المنظومات المتعددة التي تحكم هذه الدولة باسم الفدرالية أو الكونفدرالية.

والبشر منذ عقدين يبحث ويدرس موضوع خصخصة الدولة ونقاط تضخم الدولة، والسبب في ذلك أن الهدف الأصلي للدولة أن تنظم وترفع أي اصطكاك بين الفعاليات من أفراد وفئات المجتمع فيما بينهم أو إعاقات من بعضهم البعض، وإلى الآن البشرية وفي هذا القرن الحادي والعشرين وبحسب

الدراسات الدولية لم يستطيعوا أن يتوصلوا إلى ناظوم مركزي بحيث ينجز هذا الأمر الهندسي للدولة ويدير وينظم ويرسم ويرتب تفعيل فرص من دون إعاقات. ولكن بحسب النظرية الإسلامية والإمامية هو أن يفتح الفرص ويساوي بين الكل.

كتاب تنبيه الأمة:

لدى الميرزا النائيني كتاب معروف في الفكر السياسي وهو تنبيه الأمة وتنزيه الملة، حيث يعبر فيه تعبيراً رائعاً حول هذه النقطة، فيقول ما مضمونه: المعصوم سبب جدارته هو انه محور للناظوم، ـ وهذا هو أحد معاني تعريف العصمة ـ وهو الذي أشارت إليه السيدة فاطمة عليها السلام: وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة[1].

فهذا الناظم أو الناظوم لا تعاوق فيه الفرص، ولا تصطدم ولا تجمد فيه الطاقات، بل الفرص على ما هي عليه من نسيج تكويني كوني في خلقة الله تعالى ويفجر هذه الطاقات لو كانت معاقة محبوسة بشكل عادل في توفير الفرص للتمنية والتربية، ولا يقتصر على فتح الفرص بل ينميها وتتنامى هذه الطاقات.

ثم يقول الميرزا النائيني، وإن كانت العصمة ليس لها بديل

(١) البحار ج٢٩: ٢٢٣.

في عقيدة علماء الإمامية، والإمام عجل الله فرجه الشريف يمارس الآن دولة خفية تحيط بالدول.

وليس بالضرورة أن تكون الدولة ظاهرية ومرئية ومحسوسة بل حالياً الدول تسعى في عمدة جوانب هيكلها وجسمها أن يكون الغير مرئي من أجهزتها هو الفاعل والنافذ أكثر من القسم المرئي، ومن يظن أن الجانب المرئي في الدول هو الفاعل فإنه يعيش في غفلة عن الحقيقة.

ولكن يؤكد الميرزا النائيني أن الشخصية البديلة الميسورة عن الموقع الظاهري للمعصوم عليه السلام هي شخصية المجموعية الجماعية الجميعية الجمعية للبشر وأنه ضروري حضورها، وكل حسب رتبته وموقعه.

وتخيل التشتت في ظاهرة الأربعينية وفردية الأنشطة بدافع الانطلاق غير المنسق، فربما هذا الفرد لا يدري من الذي ينسج له النظم، ومن المحال أن تكون هناك نتائج من دون أسباب وترتب حوادث في أي مجال من المجالات، يعني السلامة في كل مجال، والسعادة في كل مجال، والإنسيابية في كل مجال.

إذاً هذا النظم له مركز، وهذا المركز من جهة هذا النظم تنظيراً هي القواعد التي يريد الكل أن يستكشفها ونسميها قواعد حضارة.

فإن هذه النظم ولو لأسبوعين أو ثلاثة أسابيع ينافس اكبر الحضارات في العالم جاذبية في جوانب عديدة سواء كانت أمنية، تكافلية، خلقية، روحية، نظم مروري، تموين وتوزيع غذائي، توازن وتعادل روحي أخلاقي.

دولة الحسين عليه السلام ودولة المهدي عجل الله فرجه الشريف:

إن الحضارة والشعائر الحسينية ولا نحدد الشعيرة (أ)، أو (ب)، أو (ج)، بل مجموع هذه الشعائر هي موروث حضاري نافس العالم، فدولة الحسين عليه السلام، شعب الحسين عليه السلام، مواطنة الحسين عليه السلام، الآن تبدو معالمها أكثر وأكثر من السابق لأنها كانت موجودة ولكن مبعثرة وفي أقطار متعددة.

ففي دولة الظهور للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف توجد هذه الظاهرة لكن مع وجود الشرطة والعسكر والأمن، فهي دولة قسط وعدل وليست دولة إحسان، فإن دولة الإحسان نظام أخر يفوق ويغاير غير دولة القسط والعدل.

نعم يوجد هناك طابع الإحسان في دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ولكن الطابع العام فيها هو القسط والعدل، ففيها الشرطة والجيش والسجن وفيها عقوبات وجنايات، أما دولة الإحسان فلا قضاء فيها لأنها لا تحتاج إلى القضاء، أو الشرطة، أو السجون، فأي دولة باهرة مذهلة هذه؟، ومن ذلك تنبه لعظمة

المجتمع الحسيني في زيارة الأربعين خصوصاً وفي بقية الشعائر الحسينية عموماً.

وهذا ليس أمراً أعتباطياً، والغرب يعيها أكثر منا، فما هذه الدولة المهولة التي أذهلنا نظمها أكثر من الغرب، إنها دولة الإمام الحسين عليه السلام.

الفصل الثاني

فلسفة الشعائر الحسينية

يعقوب وبكائه على يوسف عليه السلام:

هناك شعار للبكاء ذكره القرآن الكريم ويؤكد عليه الإمام زين العابدين عليه السلام فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: بكى علي بن الحسين على أبيه الحسين بن علي عليهما السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعاماً إلا بكى على الحسين، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنما اشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة لذلك[1].

وفي رواية أخرى: أشرف مولى لعلي بن الحسين عليه السلام وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: يا مولاي يا علي بن الحسين أما آن لحزنك أن ينقضي، فرفع رأسه إليه وقال: ويلك - أو ثكلتك أمك - والله لقد شكى يعقوب إلى ربه أقل مما رأيت حتى قال: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[2]،

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ٢١٢ الباب ٣٥.
(٢) سورة يوسف: الآية ٨٤.

إنه فقد أبناً واحداً وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي[١].

ونلاحظ هنا أن الإمام زين العابدين عليه السلام واجه نفس الموقف الذي واجهه النبي يعقوب عليه السلام في إنكار ونكير أبنائه عليه في البكاء والحزن الطويل على يوسف عليه السلام، وهذا الجواب الذي صدر من يعقوب عليه السلام أصبح شعاراً للبكاء، لأن القرآن الكريم يقص من أفعال وأقوال الأنبياء وغيرهم من الأوصياء ما يكون عبرة نعتبر بها، فعندما اعترض أبناء يعقوب حينما أبيضت عيناه من الحزن ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[٢] أجابهم عليه السلام ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣] وهنا نلاحظ أن جواب يعقوب عليه السلام كان في جملتين:

الجملة الأولى: (إنما اشكوا بثي وحزني إلى الله) ومفاده أني لست أشكوا بثي وحزني من الله بل إلى الله، والفرق واضح بينهما، فإنه لو كان حقيقة بكاءه ومنطلقه أشكوا من الله فالشكاية هنا على الله ـ والعياذ بالله ـ وهذا نوع من السخط على الله عَزَّ

(١) المصدر السابق.
(٢) سورة يوسف: الآية ٨٥.
(٣) سورة يوسف: الآية ٨٦.

وَجَلَّ وقدره، ولكن الشكاية هنا هي شكاية إلى الله يعني نوع من التوجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لعرض هذه المحنة وهذه البلية والاستمداد والمدد والفرج من الله عَزَّ وَجَلَّ.

وبالتالي يكون البكاء الذي عنوانه هو الشكاية إلى الله وليس إلى المخلوقين هو نوع من الدعاء، ونوع من التوجه ونوع من السؤال، ونوع من ذكر الله، فـ (أشكوا بثي وحزني إلى الله) هو نوع من ذكر الله لأنه توجه إليه سبحانه وتعالى وهذا نظير ما ورد في دعاء الندبة «**وإليك أستعدي فعندك العدوى..**»[١] يعني طلب المقاضاة وبالتالي فإن هذا البكاء سوف يكون خطاب وحوار مع الله واستغاثة وتوجه إليه تعالى، فعندما يبكي الباكي فإنه يتوجه بألم وحزن يبثه إلى الله ينفس عن آلامه وحسرته عند الباري تعالى، وأنه يا ربي ويا إلهي أن هذا الصفي من أصفيائك وأوليائك هكذا ظلم، وهذا بعينه مفاد الدعاء «**اللَّهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد..**»[٢].

ومفاد «**اللَّهم ربّ الحسين اشف صدر الحسين**»[٣].

---

(١) دعاء الندبة، مفاتيح الجنان: ٥٣٧ ط. دار التعارف التاسعة.
(٢) زيارة عاشوراء.
(٣) كامل الزيارات: ٤١٤.

البكاء نوع من الإصرار على مشروع التغيير والإصلاح الشامل:

هذا البكاء هو نوع من الطلب الملح والتوجه به إلى الساحة الربوبية لينتقم من بناء وكيان ونظام الظالمين ومن مسيرة اللا عدالة، وفي نفس الوقت هو طلب من الله عز وجل أن ينجز مسيرة العدالة على يد من أعدهم الله لأن يكونوا هم ذوي كفاءة وقدرة إلهية لقنوات العدل الذي يعجز عنه كل البشرية وهذه قضية مصيرية للأمة في الأرض على يد خلفاء الله في أرضه وأوليائه وأصفيائه.

فالبكاء يحمل نوع من هم المسؤولية الكبيرة إتجاه الدين الإلهي بل هو إقامة للدين من التوحيد والعدل في الأرض على يد أصفياء الله وأوليائه من النبي وعترته صلوات الله عليهم.

ولا يخفى أن طلب الانتقام هنا ليس بمعنى التشفي النفساني النابع من تراكم أحقاد، بل هو نسخ وإزالة أعراف الظالمين في البشر واستبدالها بأعراف الصالحين أو بالملة الحنيفية المتمثل بمنهاج النَّبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وهذا ما تربينا عليه الشريعة والدين، وبالتالي هو إزالة البراثن والمفاسد التي عشعشت في عادات وأعراف وسلوكيات المجتمع والبشر وإزالة الظلم عن الناس، ولكن ليس كشعار فضفاض، وإنما عبر أسس ونسيج

برنامجي إلهي وهو النقمة والانتقام من الظالمين الذين هم عامل أساسي لبقاء كيان ونظام الظلم والفساد في الأرض.

روي أنه لما قتل عبيد الله بن زياد سجد علي بن الحسين عليه السلام شكراً لله تعالى وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوي، وجزى الله المختار[1].

ففرح الإمام زين العابدين عليه السلام من انتقام المختار ليس هو للتشفي النفسي الشخصي وإنما هو تطهير العراق من أعراف بني أمية التي تفشت فيه وقد دككت وأزيلت بانتقام المختار، لأن عناصر وأتباع بني أمية بتواجدهم في المجتمع كانوا يربون ويفشون فيه النهج الأموي الذي هو نهج فساد وإنحطاط أخلاقي، والعراق الذي هو بلد النبيين والصديقين كيف يكون مآله بلد فجور الأمويين وفسوقهم ومجونهم؟!

ولكن عندما تقطع هذه الجذور الخبيثة منه فهذا هو معنى الانتقام وهذا يعني إزالة عروق الفساد التي أصبحت متكثرة ومتفشية في أعراف ونسيج المجتمع.

البكاء عبادة:

فالبكاء عبادة من العبادات التي نتقرب بها إلى الله، وهذا

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥: ٣٨٥.

نظير الصلاة حيث نتوجه فيها وبها إلى الله، وكذلك الصوم حيث يتوجه به إلى الله، وكذلك الحج والزكاة والزيارة فكذلك البكاء، ولذلك نرى القرآن الكريم يمدح البكاء إلا ما ندر، وعكس ذلك لا نرى الفرح والبطر إلا ويذمه القرآن إلا ما ندر.

فالبكاء الذي يمتدحه القرآن هو كالصلاة التي يتوجه بها العبد إلى الله ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]، فإن الإنسان عندما يبكي فهو يتوجه إلى الله عز وجل وهو شكوى إلى الله من الظلامة وتفشي الظلم ومن العدوان الذي اعتدي به على خلفاء الله وحججه وأوليائه الذين هم نور وطهارة وأمل في إسعاد البشرية، فيخفت القلب والروح في التوجه والشكاية إلى الله عز وجل، فمثلاً الطفل أو الضعيف عندما يبكي فإنه يتوجه ببكائه إلى قوي ويكون بكائه بمثابة نداء واستغاثة ودعاء واستنصار لمن يوجه البكاء له فبكائه ليس يأساً ولكنه طلب وإلحاح لإنجاز ما يريده.

فنفس البكاء هذا هو شكاية، ونحن البشر ضعفاء إتجاه القدرة الإلهية لا أتجاه المخلوقين الآخرين، ولذلك نرى أن يعقوب عليه السلام لم يقل لأولاده أشكو بثي وحزني إليكم أنتم أيها الظالمون ليوسف وإنما إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة يوسف: ٨٦.

ومن خلال كل هذا يتضح أن الشكاية هي عبارة عن التماس ونوع تذمر من الظالمين ولكن هو بالتوجه إلى الحضرة الإلهية، وهو نوع من الإعتراض على الظالمين لكن في معرض طلب المقاضاة الإلهية ليكون تعالى هو الحكم، وبالتالي سوف يكون هذا البكاء منطوي على أمل وطلب الإصلاح ورجاء للمستقبل الواعد.

الجملة الثانية: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فسرت هذه الآية في الروايات بعدم اليأس وفي نفس السورة تفسير لها وذلك عندما جاء البشير بقميص يوسف حيث قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، يعني رجاء الأمل والفرج والانتظار للغوث من الباري تعالى، فبكائه لم يكن إياس ولا حبط آمال وهمم بل هو تطلع إلى المشروع وطلب إنجازه من الله، وهذا هو عنفوان النشاط والحيوية والحركة والعمل وذلك بسبب الاعتقاد بمفاد ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي الاعتقاد والعلم بأن الله تعالى منه الفرج وحل كل عقدة وشدة لأن الله تعالى لايعجزه شيء وهو قادر على كل شيء.

فأنتم تقولون إن يوسف انتهى وانقضى عمره واندرس

---

(١) سورة يوسف: الآية ٩٦.

أما أنا فلا زلت أنتظر الأمل والفرج من الله وهذا التوجه والإلحاح في الدعاء بأسلوب البكاء وبلغة الشكاية إلى الله تعالى وهو تضرع له وإظهار للفقر أمامه تعالى كي يرفع هذه المحنة والبلية ويكشف هذه الغمة وبالتالي سوف يمدد بالشيء الموعود بالإنجاز ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

ومن خلال هذا كله يتضح أن البكاء عبارة عن استدعاء من الله أن ينجز ذلك المشروع الإلهي وبالتالي فهو إصرار على إصلاح وبناء ما تهدم وبناء ما لم يبن فهو عنفوان الإصرار والثبات على الهدف والاستقامة.

إن لقتل الحسين حرارة:

هناك تساؤل يطرح دائماً في الوسط الداخلي أوالخارجي أو الدولي، وهو أما آن لهذا الجزع أن ينقطع؟! والى متى يبقى ويستمر هذا الجزع على الحسين عليه السلام؟!

شعار الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف:

هناك روايات كثيرة تبين أن أول شعار يطلقه الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف عند البيعة ومن ظهر الكعبة هو شعار (يا لثارات

(١) سورة يوسف: الآية ٨٧.

الحسين)[١]. فعن الإمام الرضا عليه السلام: يابن شبيب - إنْ كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي عليه السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً مالهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السموات السبع والأرضون لقتلة، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره وشعارهم (يا أهل ثارات الحسين عليه السلام)[٢].

وكذا المختار عندما ثار لقتل الحسين عليه السلام كان هذا شعاره، وهو لنفس النكتة والغاية لأن البعض إدعى المهدوية في محمد بن الحنفية، وهناك أناس كانت دعوتهم هذه ولا يمكن لنا التأكيد على أن المختار هو الذي إدعى المهدوية لمحمد بن الحنفية، أو نفس محمد بن الحنفية إدعى ذلك بل هناك بعض الناس كانت دعواهم هذه. وتسمى هذه الفرقة بالكيسانية.

وقد كان محمد بن الحنفية يدفع هذه الشبهة عن نفسه بشتى الوسائل بعد المحاكمة الصورية التي تحاكم بها مع السجاد عليه السلام إلى الحجر الأسود[٣].

---

(١) الهداية الكبرى الباب ١٤ ح: ٦٦، المزار الكبير للمشهدي: ١٠٧.
(٢) روضة المتقين للمجلسي: ج٥: ٣٨٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١: ٢٦٨.
(٣) دلائل الإمامة: ٨٩، الاحتجاج - ج٢: ٣١٦، الخرائج والجرائح: ج١: ٢٥٧، بحار الأنوار: ج٤٢: ٧٧.

وقد قال الصادق عليه السلام: ما مات محمد بن الحنفية حتى اقر لعلي بن الحسين بالإمامة[١]:

والمهم أن هذا المطلب الذي هو المهدوية كانت مقرونة بشعار يالثارات الحسين.

الوتر والثأر:

ولو نظرنا وتصفحنا زيارات أمير المؤمنين عليه السلام وزيارات الحسين عليه السلام المتواترة عن المعصومين عليهم السلام لوجدنا في كثير من الزيارات تذكر كلمة (الثار) وكلمة (الوتر الموتور)، من قبيل: السلام عليك ياثار الله وابن ثاره والوتر الموتور[٢].

السلام عليك ياثار الله وابن ثاره، السلام عليك ياوتر الله الموتور في السموات والأرض[٣].

أشهد... وأنك ثار الله في الأرض من الدم الذي لا يدرك ثاره من الأرض إلا بأوليائك[٤].

وقد قال النَّبي صلى الله عليه وآله في حق أمير المؤمنين عليه السلام في غدير خم:

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٢: ٨١.

(٢) مصباح المتهجد للطوسي: ٧٧٤، كامل الزيارات: ٣٢٨.

(٣) الكافي للكليني: ج٤: ٥٧٦ باب زيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام، كامل الزيارات: ٣٦٤.

(٤) كامل الزيارات: ٣٥٨.

ألا أنه مدرك بكل ثار لأولياء الله عَزَّ وَجَلَّ[١] وكذلك وردت كلمة الثأر في زيارة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف:

السلام عليك ياثار الله... السلام عليك ياثار الأنبياء، وأبناء الأنبياء، والثائر بدم المقتول بكربلاء[٢].

فهل هذا الحزن وتذكر المصائب والمظالم التي جرت على آل النَّبي صلى الله عليه وآله هو بمعنى دق الإسفين كما يقول البعض، بمعنى هو إشعال نار البغضاء والضغينة والأحقاد.

ومن هنا قال البعض لماذا الشعائر الحسينية تمارس بهكذا طريقة وكأنما من أناس موتورين. لأن معنى الموتور هو حالة الغضب، حالة الثوران، حالة جيشان شديد. ولذلك عبرت أكثر من رواية عن الإمام الحسين عليه السلام بالموتور كما مر سابقاً.

والموتور لا يهدأ له بال ودائماً وأبداً لا يهدأ في مضجعه، إذاً لماذا تمارسون هذه الشعائر بشكل كأنكم موتورون يعني يقض مضجعكم؟!

الشعائر وعلم الفقه:

وبالتالي سوف تكون هناك آثاراً يثيرها البعض وهي أن

---

(١) بحار الأنوار: ج ٩٩: ٨٦.

(٢) روضة الواعضي للنيسابوري: ٩٧. التحصين لابن طاووس: ٥٨٩.

هذا الجزع وهـذا الغليان والجيشان وهـذا الشعور المحمل بالآلآم والآهات والحرارة التي لا تنطفئ إلى يوم القيامة، هل يمكن تحديده، تقييده، ضبطه بالضوابط العامة للأحكام الشرعية أم له بعد استثنائي خارج؟

وهنا الكلام لا يقع في فرد بل يقع في عموم الطبيعة، فمثلاً أصل صلاة الظهر واجبة ولكن مع الطيب مستحبة، وفي الثوب الجميل مستحبة، وفي المسجد مستحبة فهذا الاستحباب في الخصوصيات الفردية لا أن أصل طبيعة الظهر مستحبة.

فكذلك طبيعة الشعائر أيضاً ليست مستحبة وراجحة بل واجبة، ولكن هل هي واجبة بوجوب فقهي أو واجبة بوجوب اعتقادي؟!.

وهنا لابدَّ من الألتفات إلى هذه المقدمة:

أن هناك وجوبات شرعية إعتقادية كما أن هناك وجوبات شرعية فرعية ثـم فـي الـوجـوبـات الشرعية الفرعية أركـان، ووجوبات شرعية فرعية غير أركان.

فالوجوبات الشرعية ليست على نسق واحد، وهذه الأمور يجب أن تتضح لأن الشائع في الأذهـان أن الشعائر هي من المستحبات، وهـذا مسامحة في التعبير عند الأعـلام، فإن

مقصودهم ـ ولو ارتكازاً ـ أن الخصوصية الفردية المستحبة وليس طبيعية الشعائر فإنها واجبة وليست مستحبة.

طبيعية الشعائر واجب كفائي أم عيني:

ومثل هذا الواجب هل هو واجب كفائي كغسل الميت ـ مثلاً ـ أم هو واجب عيني أم كليهما؟.

إن الشعائر من الواجبات العظيمة نظير حفظ القران الكريم، وليس المراد من حفظ القرآن الكريم مجرد حفظ ألفاظ القرآن، بل صيانة القرآن ورعاية القرآن وهذا الواجب يعتبر من أسس وأساس الدين، وكذا حفظ ذكر أهل البيت عليهم السلام وإحياء أمرهم هو حفظ لأحد الثقلين كما يقول النَّبي صلى الله عليه وآله: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله (عز وجل) وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل البيت، وإن اللطيف الخبير اخبرني أنهما لنيفترقا حتى يردا عليه الحوض، فانظرو بم تخلفوني فيهما**»[1].

فإحياء أمرهم واجب ومهيمن على أركان الفروع فإحياء أمرهم هو عدم إندراس ذكرهم ومن شؤونهم ومصابهم وظلامتهم وموقعيتهم في الدين، وهذا كله ليس واجباً في موازاة

(١) المستدرك للحاكم: ج ٣: ١٠٩، المعجم الكبير للطبراني: ج ١: ١٢٩.

الصلاة والصوم والحج بل يفوقها كما في نص القرآن الكريم ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١].

أجر الرسالة:

فليس في الآية أجر الرسالة وأجر الدين كله هو الصلاة أو الصوم أو الزكاة أو الحج، بل قال أجر الدين بعظمته، وأجر الرسالة التي هي أعظم الرسالات عند الأنبياء هي ولاء مودة القربى، وهذا نص القران الكريم لا يمكن أن يكون فيه مزايدة أو هندسة فقهية أخرى نستطيع أن نرسمها للدين

فعن الإمام أبي جعفر قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية !.

ولم يناد بشي كما نودي بالولاية فاخذ الناس بأربع وتركوا هذهِ ـ الولاية ـ[٢].

فلم يناد بالصلاة كما نودي بالولاية، ولم يناد بالحج كما نودي بالولاية وهكذا فروع الدين الباقية كما نودي بالولاية.

ومما يدل على ذلك هو نص آية المودة، بل هناك آيات عديدة تبين نفس المعادلة أن أجر الدين برمته هو مودة القربى

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٢) الكافي للكليني: ج ٢: ١٨.

وولائهم، وهذه قضية ومعادلة رصينة بنيوية داخل القرآن الكريم، ولم تكن اختيارية أو بتشهي من قبل أي أحد من المكلفين.

وقد أشار إلى هذا المعنى الزمخشري في كشافه حيث يقول في تفسير قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أي لا أسألكم أجراً إلا هذا، وهو أن تودوا أهل قرابتي، ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة، لأن قرابته قرابتهم، فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة، ويجوز أن يكون منقطعاً أي: لا أسألكم أجراً ـ ولكنني أسألكم أن تودو قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم.

فإن قلت: هلا قيل: إلا المودة القربى: أو إلا المودة للقربى.

وما معنى قوله ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟ قلت جعلوا مكانا للمودة ومقراً لها، كقولك: لي في آل فلان مودة. ولي فيهم هوى وحب شديد، تريد: أحبهم وهم مكان حبي ومحله[1].

ونظير دلالة هذه الآية آية المودة الثانية في القرآن ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾. فجعل غاية عمارة بيت الله الحرام إقامة أركان الدين وغاية إقامة أركان

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

الدين هي هوي القلوب إلى ذريته من نسل إسماعيل وهم محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

أهل البيت قطب ومحور المودة:

يعني محور المودة وقطب أقطابها ليس في محبة نفسك، ولا ولدك، ولا مالك، ولا أي مؤمن أخر، ولا أي سياسي، ولا أي حزب أو تكتل بل أي ولاء يجب أن يكون مركزه أهل البيت عليهم السلام وهم الأربعة عشر معصوم لا غير.

فأي ولاء يجب أن يكون مركزه أهل البيت عليهم السلام، فإن أي إنتماء أو أي ولاء يتفتت ويتقطع ويصبح هباءاً منثوراً إلّا ولاء أهل البيت عليهم السلام، بل حتى ولائنا للكعبة يجب أن ينصب في ولاء أهل البيت عليهم السلام. وهذا ما أكد عليه الباري تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1]. وهذه آية ثالثة في المطلوب.

فليس اللفظ ولم يقل إنما ووليكم الكعبة بل إنما وليكم الله عَزَّ وَجَلَّ ثم الرسول صلى الله عليه وآله ثم علي بن أبي طالب عليه السلام.

الذي يؤتي الزكاة وهو راكع، وهنا هو مركز الولاء فنفس

(١) الكشاف للزمخشري: ج ٤: ٢٢٣.

المعادلة الموجودة في ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ موجودة في آية المودة، وآية هوي القلوب إليهم في دعاء البني إبراهيم عليه السلام.

ولذلك فإن أي فقيه إذا أراد أن يبحث عن أمور مرتبطة بولاء أهل البيت عليهم السلام لم يبحث لك في الصلاة أو القضاء، نعم الصلاة عظيمة (إنَّ قبلت قبل ما سواها)[١]، والصوم عظيم (جنة من النار)[٢]، ولكن كما أن هناك توازن طولي بين الصلاة والصوم فلا بد لك أن توازن طولياً بين الولاية والصلاة، وهذا ليس محل اختيار بل هذا ما رسمه القرآن الكريم لنا بهذا النمط والشكل والصورة.

شعيرة الزيارة مستحبة أم واجبة:

وحينئذ طبيعة الولاية وطبيعة المودة والارتباط بهم (صلوات الله عليهم) ليس أمراً مستحباً، نعم هناك من يقول الحجاب واجب والزيارة مستحبة وهذه ثقافة خاطئة لأن الولاية أوجب الواجبات بحيث لم يناد بشئ كما نوديّ بها، نعم لا نحصر طبيعة الولاية بالزيارة فقط، لأن الولاء يعبر عنه بالزيارة، ويعبر عنه بالعزاء، ويعبر عنه بالمجالس الحسينية، فأصل الطبيعة واجبة بل وجوبها أعظم من وجوب الصلاة، وأعظم من

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني، ج١٢: ٤٣٩.
(٢) الكافي للكليني، ج٢: ١٢، ٢٤.

وجوب الصوم، وهذا الأمر كما مر ليس إختيارياً بل بنص الكتاب الكريم.

فإذا كانت أصل الطبيعة هكذا وجوبها فهل لب طبيعة الزيارة حينئذ واجبة ام مستحبة؟!.

وإذا كان الولاء واجب ولكن لا تزورهم، ولا تذكرهم، ولا تفرح لفرهم، ولا تحزن لحزنهم فما هو الولاء إذن؟! وما الذي يبقى من الولاء.

وبالتالي فأنت أجنبي، مقطوع، مبتور عنهم فأين ولائك لهم عليهم السلام.

فإن العداء علامته تفرح إذا حزن الرسول صلى الله عليه وآله، وتحزن إذا فرح الرسول صلى الله عليه وآله كما في نص قوله تعالى ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾[1].

الفرق بين الإسلام العام وإسلام الإيمان:

ومن هنا يتضح أن فقه الشعائر أو فقة معالم أهل البيت عليهم السلام مرتبطة بمعالم الإيمان، وهذا هو إسلام الإيمان، وإلا لو كان

(١) سورة التوبة: ٥٠.

مرتبطاً بالصلاة، أو مرتبطاً بالصوم، أو بالزكاة، أو بالحج فهذا هو الإسلام العام والكلام هو في إسلام الإيمان

وأي شعيرة سواء كانت زيارة، مجلس عزاء، عمل الولائم، رفع الأعلام الحسينية واللافتات فهي مرتبطة بإحياء أمر ولاء أهل البيت عليهم السلام فوجوبها لا يقاس بالوجوبات الأخرى. لأن هذا الأمر مرتبط بأصل طبيعة الولاية ولا يمكن لنا أن نقايسها مع الوجوبات الأخرى

أو مع خصوصيات الفردية المستحبة، بل حتى المحرمات لم يناد ببعضها كما نودي بوجوب الولاية، ولم يناد بلزوم البراءة وحرمة تولي أعداء أهل البيت كما نودي بحرمة الحرمات الأخرى، نعم الألفة والليين و المداراة ضرورية بلا ريب، ولكن أكبر المحرمات تولي أعداء الله وأعداء رسوله وأهل بيته في قلبك أو في معرفتك أو ميولك أو عواطفك ولو كان من أبائه أو أبنائه أو عشيرته.

ومهما كانت الحرمة من الفجور والخمور والزنا والفسق لم يبالغ في حرمتها في القرآن الكريم كحرمة ولاية أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ

أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[1].

ولا تقل أن فلاناً مؤمناً ولكن عنده فسق ووظيفتي أن أتركه وأقاطعه قطيعة تامة ولا أتقرب إليه ولكن أوالي من حاد الله ورسوله فهو أفضل أو أعظم منه، لأنه يلتزم بصورة الأفعال الحسنة مع أنه يوالي معسكر الشر والشرور.

وهذا ليس بصحيح والقضية ليس فيها إجتهاد شخصي أو ميول ورغبات بما تشتهي النفس بل القضية فيها أمر وبنص من القرآن الكريم فلا يمكن لنا أن نتخطى الخطوط الحمراء التي بينها وأمرنا بإتباعها القرآن الكريم بل لم يسمح لنا بهذا المنطق أن نتكلم أو نعمل، فالمحرمات التي عظمها القرآن الكريم تولي الجبت والطاغوت هي محرمات عظيمة عندنا، فيجب أن لا نفقد مراتب الواجبات ومراتب المحرمات.

القرآن الكريم والغلو:

ولا يعتبر هذا غلو من القرآن الكريم إطلاقاً حيث يقول ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾. ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[2].

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) سورة ص: الآية ٧١ ـ ٧٣.

وهنا قال تعالى ﴿فَقَعُواْ﴾ وهي أشد من (فاسجدوا) يعني بلا أي مهلة ولا تروي، وبلا أي تلكوء أو تذبذب بل خروا له خضوعاً وطاعةً وانقياداً لهذا الخليفة.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ يعني كل الملائكة بما فيهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان مالك الجنان ومالك مالك النيران، فإذا كانت عظمة خليفة الله في منطق القرآن الكريم بهذه المرتبة يبينها الله تعالى فهل نحن صناع الغلو، وإذا كان هذا النوع من التشدد يؤكد عليه القرآن الكريم فكذلك نحن أيضاً نشدد.

فالقرآن الذي أمر جميع الملائكة بالسجود وبهذا قد أصبحوا من التابعين والمنقادين لخليفة الله، ولكن ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] فكانت عاقبته ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[2].

فهل خروج إبليس وطرده ولعنه إلى يوم الدين لأنه لم يكن من المصلين؟!

أم لأنه لم يكن من الصائمين؟!

بل لأنه لم يتول خليفة الله فصار من الكافرين.

---

(١) سورة ص: الآية ٧٤.

(٢) سورة ص: الآية ٧٨.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين، ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب، ومحجوبات الغيوب ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إعترضته الحمية فافتخر على ادم بخلقه... إلى ان يقول عليه السلام:

ألا ترون كَيف صغره الله بتكبره، ووضعه الله بترفعه، فجعله في الدنيا مدحوراً، وأعدله في الآخرة سعيراً؟!

ثم قال عليه السلام: فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة الآف سنة، لا يدرى أمن سني الدنيا أم سني الآخرة[1].

فأين ذهبت عبادة الستة الآف سنة التي لا يدرى من سني الدنيا أم الآخرة، هل لأنه لم يصل أم لأنه لم يصم أم لأنه لم يحج؟! بحيث أصبح مصيره هكذا.

وهذا هو منطق القرآن الكريم وليس منطقنا حتى يتهمونا بالغلو.

فلسفة الجزع:

ومن هنا هل كانت الصلاة وراء الجزع وغاية له؟!

وهل كان الصوم وراء الجزع وغاية؟!. أم أن تهذيب الأخلاق وتطهير البدن وراء ذلك وغايته؟!.

وفي رواية أن الله عَزَّ وَجَلَّ خاطب النبي موسى عليه السلام في يوم ما وقال له: ائتني لي بعمل خالص، فأجاب موسى عليه السلام: الصلاة، فقال تعال: الصلاة لنفعك تنهاك عن المنكر وتأمرك بالمعروف

ولكن الشيء الخالص غير الصلاة التي يريده الله تعالى، والشيء الأعظم الذي يريده الباري تعالى هو أعظم وفوق الأركان والفروع، وهذا ليس استهانة بالصلاة أو الزكاة ولكن الصلاة بدون الولاية هي صلاة غير مقبولة عند الله، وهذا ليس أدباً صورياً أو مجاملة، ألا تلاحظ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[1].

فرغم أنها في المسجد الحرام وليس في الصحراء أو البراري أو في مساجد أخرى بل في المسجد الحرام

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٥.

يسمّيها القرآن الكريم بالمكاء والتصديه، يعني ضوضاء وصخب ليس إلّا.

وبالتالي فسوف تصبح هذه الصلاة عبارة عن حركات بدنية ليس فيها روح وشعور وذلك لعدم وجود الولاء لمحمد وآل محمد. وهذا هو منطق القرآن الكريم وليس منطق البشر. نعم الصلاة مطلوبة ولكن مع الروح لا بمجرد البدن، والبدن لابد منه ولكن ليس البدن في مرتبة الروح ولا الروح في مرتبة البدن، فلا بد من وجود البدن والروح معا، فبدن الدين هو الأركان ولكن روح الدين ولب اللباب له هو ذلك الولاء. فالدين الحي هو البدن والروح فلا يمكن أن نفصل بينهما بأي شكل من الأشكال.

فعن أبي حمزة، قال: قال لنا علي بن الحسين عليه السلام: أي البقاع أفضل؟ قلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: إن أفضل البقاع مابين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عمر ما عمر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ولقى الله بغير ولايتنا لم ينفعه شيئاً[1]:

وعن بكر بن محمد الازدي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

(١) المحاسن للبرقي: ج١: ٩١.

أبلغ موالينا عنَّا السلام وأخبرهم أنا لن نغني عنهم من الله شيئا إلا بعمل، وأنهم لن ينالوا ولايتنا إلا بعمل أو ورع[١].

الحسين عليه السلام أعظم من النبي يوسف عليه السلام:

إن منطق القرآن الكريم يبين أن الحسين عليه السلام أعظم من النبي يوسف عليه السلام كما سوف نبين ذلك، وأن فاطمة عليها السلام أفضل من النبي يوسف عليه السلام، وهناك آيات قرآنيه وروايات تشير إلى أن النبي يعقوب عليه السلام يعلم بأن يوسف عليه السلام حي لأن يوسف أنبأ أباه أنه سيتقلد الملك الإلهي، والله سبحانه وتعالى منجز وعده والله لايخلف الميعاد، إذن ما السبب الذي يجعل النبي يعقوب عليه السلام في حالة حزن دائم على يوسف بحيث أبيضت عيناه من شدة البكاء، وهذا ليس مجرد شعيرة أو راجح بل هذا ولاء وتولي، فإن ولاء يعقوب لابنه يوسف لعلو مرتبة ولاية يوسف.

وهذا ما نراه في إنشداد النبي يعقوب لولده يوسف عليه السلام.

علي وفاطمة وفقد النَّبي صلى الله عليه وآله:

إنَّ مصيبة فقدان النَّبي صلى الله عليه وآله من أعظم المصائب لأنه أعظم الكائنات وأعظم البركات التي قدرها الله تعالى أن تنبع وتتفجر من

---

(١) قرب الإسناد للحميري: ٣٣.

بين هذا الكائن العظيم وهو رسوله الله ﷺ وقد وصفت السيدة الزهراء عليها السلام حالة الناس بعد فقد النَّبي ﷺ حيث قالت: فلما أختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين...

ثم تقول: أظلمت الأرض لغيبته وكسفت الشمس والقمر، وأنتشرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال،...[١].

وقال الإمام علي عليه السلام: بأبي أنت وأمي لقد أنقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء وخصصت، حتى صرت مسلياً عمن سواك وعممت حتى صار الناس فيك سواء.

ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لانفذ عليك ماء الشؤون ولكان الداء مماطلاً والكمد محالفاً وقلا لك ولكنه مالا يملك رده ولا يستطاع دفعه بابي أنت وأمي أذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك[٢].

---

(١) الاحتجاج: ١: ١٣٢، بحار الأنوار ٢٩: ٢١٦.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٣٥.

فأي أنقطاع يقصده أمير المؤمنين عليه السلام ونحن في عقيدتنا أن العلم اللدنى لم ينقطع عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن فاطمة عليها السلام، فما الذي فقده أمير المؤمنين عليه السلام لأنَّ المصاب يعني الخسران نعم أمير المؤمنين عليه السلام ليس بخاسر ولكن إفتقاده لنعمة عظيمة و نور عظيم جعله يقول ذلك، ألا وهو درجة الوحي الخاصة بسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله خاصة به.

الكمال والعدل عند أهل البيت عليهم السلام:

ولو نلاحظ كثرة الشعارات الدولية التي تناشد بها كل البشرية من قبيل السلم الدولي أو منظمة رعاية الصحة العالمية، محكمة العدل الدولي، مجلس الأمن الدولي وغير ذلك من الأسماء و الشعارات لو نسألهم هل حصلتم على ما أستسموا له وترفعون لكل هذه الشعارات الدولية والإعلامية أم مجرد شعارات تطبلون وتخدرون الشعوب بها، إن كل ما ينشده البشر ويطبل له ليل نهار لم ولا يجدونه إلا عند النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم، فإذا لم يأتوا ويحكموا في الأرض وبشكل معلن ومهيمن على كل بقاع الأرض فلن تنعموا أيها البشر لا بالسلم الدولي ولا بالعدل الدولي ولا بالصحة العالمية ولا بالاقتصاد العالمي، وهذا ليس مقال البشر بل القرآن الكريم: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

فإن الاستئثار، والطبقية، والظلم، والحروب التي تنشأ بسبب الاحتكار والظلم والبيروقراطية لم ولن تنجوا منها ـ أيُّها البشر ـ إلّا أنَّ تسندوا ثـراء الأرض بيد شخص القربى للنبي صلى الله عليه وآله، كما هو تحدي القرآن في هذه الآية كملحمة يعلنها للبشر.

حكم النبي عيسى عليه السلام في ظل حكومة المهدي عجل الله فرجه الشريف:

ومن المعروف في روايات الفريقين أن النبي عيسى عليه السلام سوف ينزل إلى الأرض مرة أخرى، ومع ذلك فالقرآن الكريم والنصوص لايكفل الحكم الإلـهـي في الأرض إلـى النبي عيسى عليه السلام، والمسيحيون وإن كانوا يعشقون النبي عيسى عليه السلام، ويموتون ذوباناً في يوم قتل النبي عيسى عليه السلام، ويدمون أنفسهم عشقاً ومحبةً وولهاً في النبي عيسى عليه السلام، ومع كل هذا القرآن الكريم يصرح ويقول أيها المسيحيون الضامن لسعادتكم ليس نبيكم مع كل الاحترام والتقديس الـذي يؤكد عليه الكتاب

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

الكريم لشخص النبي عيسى وأمه عليهما السلام بل الحاكم في النهاية هم أهل البيت عليهم السلام.

أربع أنبياء وزراء لآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله:

بل هناك أربع أنبياء وهم إدريس وإلياس وعيسى والخضر عليهم السلام - على القول بأنَّ الخضر نبي - يقول القرآن رغم قدسيتهم واحترامهم وعلمهم فهم ليسوا قمة أمل البشرية، بل قمة قمم أمل البشرية هم قربى النَّبي صلى الله عليه وآله، لأن كل الدين مركزه هو مودة القربى، وولاء القربى، وانتماء القربى، والدين لم يكن لفئة معينة من البشر بل لكل المخلوقات الأرضية والسماوية.

وهذه ليست مغالات من القرآن الكريم، تجاه النبي صلوات الله عليه وآله، بل نرى القرآن دائماً يجعل المحور والقطب والمركز في كل شيء، في الاقتصاد، في النجاة، في الأخلاق، في القضاء، في عالم الملائكة، في الدين، في المعرفة هو سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، وللأسف الشديد هناك من يستشكل ويقول لماذا حصر النَّبي صلى الله عليه وآله الزكاة في الذهب والفضة، في حين أن هناك أكبر منظر غربي يقول لن تنحل الأزمة المالية التي تعصف وترهق الغرب حالياً إلا بعود العملة النقدية إلى الذهب والفضة وإلا فباب التمويه في النقد وغسيل الأموال في القيمة النقدية لاينسد بابه.

وهـذه معجزة سيد الأنبياء ﷺ بحصر صلاحية النقد بالذهب والفضة بخلاف غيرهما، لأن غيرهما يحصل فيه التلاعب وتكون محلاً للسرقة ولغسيل الأموال إما من الدول الكبرى أو من نفس الـدول الحاكمة ضد شعبها أو شعوب العالم، وهل العدالة في الرأس مالية، الشيوعية، الاشتراكية، السوق الحرة، التجارة العالمية؟!، وهذه هي الأنظمة الاقتصادية الفاشلة ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (١).

والعلم اللدني الجامع بالعدالة لا يمتلكه النبي عيسى، ولا إلياس، ولا الخضر، ولا إدريس، بل ولا إبراهيم، ولا نوح بنص من القرآن الكريم. حيث وصف القرآن الكريم بإنه مهيمن على بقية الكتب ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (٤).

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٨.
(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٣٨.
(٤) سورة الانعام: الآية ٥٩.

ووصف مهيمن شامل لباب العدالة المنشودة لكل العالم والكمال الأكمل والأتم مقرر حصراً في هذا الكتاب فقط، وهو مهيمن على كل درجات الشهادات العلمية لا إبراهيم ولانوح ولاموسى ولاعيسى ولا كل الأنبياء عليهم السلام لأنَّ أي نبي من الأنبياء كتابه يكون هو عبارة عن درجته وشهادته العلمية الملكوتية، فالشهادة الملكوتية للنبي إبراهيم عليه السلام صحفه.

والشهادة الملكوتية للنبي داود عليه السلام الزبور.

والشهادة الملكوتية للنبي موسى عليه السلام التوراة.

والشهادة الملكوتية للنبي عيسى عليه السلام الإنجيل.

وأما شهادة القرآن الكريم فقد خصها بالنبي وأهل بيته (صلوات الله عليه) حيث شهدت آيات عديدة أنهم ورثة الكتاب بعد النبي صلى الله عليه وآله.

لأن هذا العلم والعالم الملكوتي لا يمتلكه ألا هؤلاء.

إذاً نجاتكم أيها البشر من المنظرين والمفكرين ومن كل طبقات البشر وبمؤسساتهم الدولية ليس الأنبياء وإن كان لهم دورهم العظيم في الدولة الإلهية القادمة، ولكن المركز لكل طبقات الدوائر هم محمد وآل مُحمَّد عليهم السلام.

رجعة رؤساء العدالة الإلهية:

وإذا كان المركز هو هذا فليس عبطاً أن يأتي الإمام

الصادق عليه السلام والإمام الخاتم عجل الله فرجه الشريف ويؤكدون على رجوع رؤساء العدالة الإلهية، كما هو في دعاء الندبة المروي عن الإمامين الصادق والقائم عجل الله فرجه الشريف:

فعلى الاطائب من أهل بيت محمد وعلي صلى الله عليهما وآلهما فليبك الباكون وإياهم فلينذب النادبون، ولمثلهم فلتذرف الدموع، وليصرخ الصارخون ويضح الضاجون، ويعج العاجون، أين الحسن وأين الحسين، صالح بعد صالح، وصادق بعد صادق[١].

وفي منطق أهل البيت عليهم السلام أن فقد البشرية لسيد الأنبياء عليهم السلام أعظم مصيبة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام: قال: وإذا أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله فإن الخلق لم يصابوا بمثله قط[٢].

وفي رواية أخرى فانه من أعظم المصائب[٣].

وهذه المصيبة العظيمة لم تنجبر إلا إذا رجع النَّبي صلى الله عليه وآله حياً إلى دار الدنيا، وبظهور الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف سوف يكون مقدمة لعلاج هذه الفادحة والخسارة الكبرى، والعلاج الكامل

---

(١) دُعاء النُّدبة.
(٢) الوسائل، ج٣: ٢٦٧.
(٣) المصدر السابق.

يكتمل برجعة الحسين عليه السلام، ورجعة أمير المؤمنين عليه السلام وسوف تكون هذه الرجعة جبران لهذه الخسارة الكبرى وهي فقد سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، ومن بعده فقد سيدة النساء عليها السلام وفقد سيد الأوصياء عليه السلام وفقد سيدا شباب أهل الجنة عليهما السلام.

الجزع والكمال المنشود:

وَمِنْ هُنا فالجزع مُستمر ومشتعل ولم ولن ينقطع إلّا أنْ تعمُّ السَّعادة والكمال والحرية والنجاة وَكُلّ هَذا لمْ ولن نحصل عليه إلّا في ظل ووجود أهل البيت عليهم السلام، ولذا فنحنُ نشكوا بثنا وحزننا لَيسَ إلى البشر الذي حاله مِنْ حالنا ومستقبله مِنْ مستقبلنا ولكن شكايتنا إلى الله تعالى ﴿أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1].

نعم، الجزع من الله هو عدم الصبر وهذا مذموم، أمَّا الجزع إلى الله تعالى فهذا دعاء إلى الله، وهذا هو التطلُّع إلى منبع الخير ومنبع الكمال، وتطلُّع إلى الرُّقي المُستمر وعدم الاقتناع بالرُّقي المُتوسط الوضعي البشري، فالغرب لمْ يمكن له أنْ يوصلنا إلى الرقي البشري، وحتَّى الشعوب الأوروبية والغربية غير مُقتنعة بهذا الازدهار المزعوم في أنظمتها حيث لا زالت تعاني الأستئثار الفاحش والإحتكار والاستبداد بصوره الجديدة.

---

(١) سورة يوسف الآية ٨٦.

المهدي عجل الله فرجه والأنظمة الغربية:

وإنَّ هناك تقارير من مراكز دراسات كبيرة قدْ أجروا فيها استفتاءات حول بنود أطروحة مشروع الإمام المهدي عجل الله فرجه الذي يعمُّ كُلّ العالم بالعدالة والحرية، وإن يعلنوا أن تلك البنود هي من المشروع المهدوي، وقالوا لو اطلعت عليه شعوب العالم لتبدّل ولائها من الأنظمة الغربية إلى ولاء هذا الشخص الموعود.

ومن الطبيعي أنَّ البشرية في كُلّ العالم تتطلّع إلى ما وراء ذلك ؛ ولذا نجدُ إلى الآن الديمقراطية والليبرالية التي يدّعي بها الغرب لمْ تلبِّ طموحات شعوبها، ومن المستحيل أنْ تُلبي هذهِ الأنظمة تلك الطموحات والأُمنيات، والشاهد على ذلك صور العنف والقمع للتظاهرات المعارضة وهل سمعتم يوماً ما أنهم خمدوها بالورد والياسمين.

فالجزع هو عبارة عن اشتداد الشوق والإصرار في الإرادة على المسير والسير إلى قمّة السلام والسعادة، فانتظار الفرج من أعظم العبادات لأنه تطلع إلى ما وراء المنتوج البشري وتطلع إلى منتوج إصلاحي إلهي يلبي رغبات الفطرة البشرية.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله **«أفضل العبادة انتظار الفرج»**[1].

---

(١) كمال الدِّين ج٢: ٢٨٧: ح٦.

يعني الفرج الأكبر وهو النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم. وكلّ فرج مزعوم غير هذا فليس بفرج، ولن يفرَج عن البشرية، وعن ويلاتها، وعن حروبها، وعن ظلامتها إلّا بالوصول إلى هؤلاء الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

الجزع نوع من الأمل:

فالجزع والحزن ملؤه الأمل، وملؤه الرجاء، وملؤه النشاط، فلا يمكن أنْ نقتنع بالديمقراطية أو الليبرالية أو بالسوق الحرّة أو بالتجارة الدولية فهذه مجرَّد سلع بارت وبائرة ونحن البشر نتطلّع إلى السلعة العظيمة، وهذا الجزع والاشتعال واللهب الروحي هو تشوّق أكثر فأكثر إلى الهدف المنشود وإلى القمة المنشودة فكيف تريدوننا أنْ يخبت ولهنا وشوقنا إلى الحبيب المنشود.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] يعني أعلم بأنَّ الله تعالى سوف يُقرِّر ويُدبّر ويقدّر هذا الفرج الأعظم.

فلسفة الشعائر:

ومِنْ هُنا ففلسفة الشعائر هي نوع من القرب إلى الله تعالى،

(١) سورة يوسف: الآية ٨٦.

وهي نوع من تحمل المسؤولية التي تطلبها الإرادة الإلهية في هذا المشروع الإلهي الضخم والذي يكون فوق قدرة البشر.

وقدْ آمنا بأنَّ هذا المشروع هو الأكمل للبشرية جمعاء.

وآمنا أنَّ هذا المشروع هو المُنقذ ولا منقذ سواه.

وآمنا أنَّ الخليفة هو قطب الأقطاب وهو مركز الولاء.

فكيف بعد كُلّ هذا يطلب منّا أنْ نهدأ ونخبت ويراد منّا أنْ نقطع ولائنا أو أنْ نقلل منه بعد عرفان فطرتنا وعقولنا أنَّ لا مشروع إلهي منقذ غيره.

ملاك الولاية:

نعم هناك انسجاماً بين التوحيد والصلاة، وبين التوحيد والزكاة، وبين التوحيد والحج ولكنْ لا بمعنى أنَّ الزكاة حاكمة على التوحيد، وكيف يمكن أنْ يكون الضرر النفسي الأنوي الأناني القوقعي الفردي حاكم على مصلحة الدين الكبرى؟!.

نظير باب الجهاد حيث لا يعتنى فيه بالضرر النفسي مثلاً، فلا المال ولا العرض ولا النفس ؛ لأنَّ باب الجهاد ملاكه ملاك الولاية وهي ولاية الله، وولاية الرسول صلى الله عليه وآله، وولاية أهل البيت عليهم السلام.

نعم، هناك ضوابط في الشعائر لا يمكن تركها ولكنْ ضوابط ترسم لنا الموازين لا أنْ تقلب لنا الموازين، نعم التوحيد لا ينفي الزكاة بلْ يثبتها ويُؤكِّد عليها ولكنْ مع حفظ المراتب لا مع عرضية المراتب، فلا إفراط ولا تفريط، فلا تغالي في فروع الدين بحيث تجعلها كأصول الدين، ولا أصول الدين تنفي فروع الدين بلْ بينهما كمال الملائمة ولكنْ في «**مراتبكم التي رتبكم الله فيها**».

الوتر والثأر والانتقام:

فنحن موتورون عن فقدان هذهِ النعمة العظيمة، فلابدَّ أنْ نقطع ونقلع أسباب الظلم والاضطهاد من شجرة الأرض ومن كوكب الأرض، وهذا لا يتمُّ إلّا بالثأر، فإنَّ أحد معاني الثأر هو تطهير الأرض من أسباب الفساد، والإنتقام منها.

ولو نلاحظ الكتاب الكريم لوجدنا عدَّة آيات تصف الباري تعالى بأنَّه منتقم من الظالمين والمجرمين والكافرين ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[1]، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[2] فهل الباري تعالى يحتاج إلى خلقه حتَّى ينتقم منهم ويتشفّى؟! كلا ولكنْ ليطهرها من أسباب الشر والشرور والفساد والمفسدين.

---

(١) سورة السجدة: الآية ٢٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٥.

وبالتالي فنحن تبعاً لأئمتنا لا يهدأ لنا بال ما دام النهج اليزيدي والنهج الأموي موجود، وما دام نهج الظلم ونهج البغي ونهج الفساد والإباحة والعهر والخمور هو الحاكم فلا يمكن لنا أنْ نهدأ ولسنا في راحة من أمرنا لأننا مسؤولون عن ذلك أمام الله والرسول وأهل بيته عليهم السلام، ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[2].

ومستوى في تحمل المسؤولية أقل من ذلك أنْ يكون لدينا همّ وغمّ، فإنَّ أحد غايات الدين ليظهره على الدين كُلِّهُ ولو بأسلوب النور والعلم والمعرفة والحكمة وليسَ بالسيف، عن عمار بن أبي الاحوص عن الصادق عليه السلام: «**أما علمت أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعسف والجور، وأن إمامتنا بالرفق والتآلف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وفي ما أنتم عليه**»[3].

نعم، الدفاع أحد أسباب انتشار هذا الأمر ولا ينبغي لنا أنْ نكون ضُعفاء، بلْ لابدَّ أنْ تكون عندنا قوة رادعة تهيب وتُرهِب الطرف الآخر حتَّى لا يطمع فينا ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن

(١) سورة التوبة: الآية ١٢.
(٢) سورة التوبة الآية: ٣٨.
(٣) الوسائل للحر العاملي، ج١٦، ب: ١٤، ح: ٩.

قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1].

فيجب أنْ تكون لدينا تنامي قوة ذاتية لردع الباغي أي لأجل الثأر وليسَ لأجل البغي والعدوان، وليسَ الثأر بمعنى الأحقاد الشخصية فإنَّه لا توجد أي أحقاد بين أئمة أهل البيت عليهم السلام وشعوب البشرية.

حرب الأديان والطائفية:

ولا يخفى أنَّ حرب الأديان والطائفية التي تفتعل بين الحين والآخر هي خديعة للشعوب، فإنَّ السلطات الظالمة وحكّامها هم من يفتعلون الأزمات الطائفية والمذهبية ويخدعون فيها الشعوب، فيستغفلون جماهير الناس عن منقذها الحقيقي وعن مُخلّصها من أيدي المُستأثرين خوفاً على مآربهم الشخصيّة.

ونرى أهل البيت عليهم السلام ينصفون أعدائهم قبل أنْ ينصفوا محبيهم من دون ظلم. بلْ أهل البيت عليهم السلام يُنشدوا كمال العدو قبل أنْ يُنشدوا كمال المحبين والمتبعين. ولو تتبعنا سيرتهم عليهم السلام لوجدنا كيف كانت سيرة النبي صلى الله عليه وآله في تقسيم الغنائم في معركة حُنين.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦.

وكيف كانت سيرة الوصي عليه السلام في تعامله مع أخيه عقيل في توزيع وتقسيم المال.

فالثأر ليسَ معناه الحقد أو الأحقاد على البشرية بلْ الكراهية تجاه الفساد والمفسدين، فيجب أنْ يكون توحيد الله، عدل الله، في الميزان الذي يريده الله في الأرض لينتشر العدل والّا فسوف يستخفّ بحرمة الله تعالى ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[1].

(١) سورة نوح: الآية ١٣.

الفهرس

أسرار زيارة الأربعين
القسم الأول

الإهداء ٧
المقدمة ٩
دعاء الإمام الصادق (ع) لزوّار قبر جده عليه (ع) ١١
أسرار زيارة الأربعين ١٥
زيارة الأربعين والمراقبة الدولية ١٦
زيارة الأربعين والنظام البائد ١٧
المشروع المهدوي قائم بالمشروع الحسيني ١٨
المراقبة الدولية لزيارة الأربعين ١٩
زيارة الأربعين والمدينة الفاضلة ٢١
الحسين عليه السلام أسوة قدماً ٢٤

الحسين يربي الأنبياء ٢٥
الحسين هو الذي يحكم العراق والبلدان ٣٠
المشي إلى العبادة عبادة ٣١
حرمة مناسبة وموسم الأربعين ٣٢
العلمانية الجديدة وزيارة الحسين عليه السلام ٣٣
ولا تغتض من نجاة الفضيلة وأسباب القوة وازدهار
الحضارة ٣٧
سر التركيز على زيارة الحسين عليه السلام ٣٧
السر الأول ٣٨
السر الثاني ٣٩
الفرق بين المعسكرين ٤٠
السر الثالث: طاعة أولي الأمر أو المعصية ٤١
طاعة أولي الأمر طاعة الدين ٤٣
السر الرابع: زائر الحسين يعيش همّ المستضعفين ٤٥
السر الخامس: كتاب اسمه الحسين ٤٧
أرواحكم في الأرواح ٤٩
الحسين هو القرآن المتجسد في واقعة كربلاء ٥٠
الشعب يريد الحسين ٥٢

الإمام الحسين والرجعة ٥٣
برنامج المعصوم أمل البشرية ٥٥
الإمامة في ذرية الحسين عليه السلام ٥٧
قبة السماء الحسينية والتربة الروحية ٥٨
لماذا لم يخرج الحسين بمفرده ٥٩
الحور العين من نور الحسين عليه السلام ٦١
أصحاب الحسين سادة الشهداء ٦٤
زوار الحسين عليه السلام ينشغلون بجماله عن الحور العين ٦٦
نعم لتسييس الشعائر، لا لتسييس الشعائر ٦٩
التسييس الإلهي ٧٢
الانجذاب الروحي لسيد الشهداء عليه السلام ٧٣
إن لقتل الحسين حرارة ٧٥

أسرار زيارة الأربعين

القسم الثاني

الإهداء ٨١
الفصل الأول: زيارة الأربعين حضارة أم دولة ٨٣
البعد الأول: النظام والمنظومة الاستراتيجية ٨٥

البعد الثاني: النظام الآلي التنظيري التطبيقي ٨٧
البعد الثالث: حضارة الموروث الحسيني ٨٩
البعد الرابع: سفارات الإمام الحسين عليه السلام العالمية
والدولية في أقطار البلدان ٩١
البعد الخامس: مؤسسة الحسين عليه السلام والسلم المدني ٩٤
زيارة الأربعين والنظم والنظام ٩٦
جواب لسؤال ٩٩
القرآن الكريم والحضارة ١٠٠
الهوية الروحية لمجتمع الشعائر الحسينية ١٠١
إدارة المجتمع الحسيني ١٠٥
الحضارة الحسينية والحضارة الغربية ١١١
قواعد نظام أهل البيت عليهم السلام العالمي ١١٥
نظام الحوزة العلمية في الدراسات الغربية ١١٧
القوة الأمنية للحوزة العلمية ١١٩
السقوط الحضاري للغرب ١٢١
سر نجاح نظام التشيع ١٢٢
نظام خصخصة الدولة ١٢٤
التقرير المنصف لأمير المؤمنين عليه السلام ١٢٦

أسرار قواعد النظم عند أهل البيت عليهم السلام ١٢٨
إثارات وتساؤلات ٠٣١
الإثارة الأولى: زيارة الأربعين والناظم المرئي ١٣٠
الإثارة الثانية: زيارة الأربعين والدولة السياسية ١٣٣
الإثارة الثالثة: أربعة عشر قرناً تحت الظلم والسيف ١٣٦
الإثارة الرابعة: الالتزام الديني أثناء وبعد الأربعين ١٣٩
الإثارة الخامسة: التحسس من الغرب ١٤١
الإثارة السادسة: الإسلام وأهل البيت عليهم السلام ١٤٣
الإثارة السابعة: ظاهرة الأربعين والثورة الحسينية ١٤٥
الإثارة الثامنة: الفرق بين المشي والحضارة أو الظاهرة ١٤٥
الإثارة التاسعة: الحكم وزيارة الأربعين ١٤٨
الإثارة العاشرة: الاختلاف في المنهج ١٤٩
الإثارة الحادية عشر: الأدلة القرآنية وزيارة الأربعين ١٥٢
الإثارة الثانية عشر: خلافة أمير المؤمنين عليه السلام والنظم والنظام ١٥٤
الإثارة الثالثة عشر: الولاء الحسيني والمجتمع الملائكي ... ١٥٥
الإثارة الرابعة عشر: دولة الإحسان ونظامها ١٥٧
كتاب تنبيه الأمة ١٦٠

دولة الحسين عليه السلام ودولة المهدي عجل الله فرجه الشريف ١٦٢
الفصل الثاني: فلسفة الشعائر الحسينية ١٦٥
يعقوب وبكائه على يوسف عليه السلام ١٦٧
البكاء نوع من الإصرار على مشروع التغيير والإصلاح الشامل ١٧٠
البكاء عبادة ١٧١
إن لقتل الحسين حرارة ١٧٤
شعار الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ١٧٤
الوتر والثأر ١٧٦
الشعائر وعلم الفقه ١٧٧
طبيعية الشعائر واجب كفائي أم عيني ١٧٩
أجر الرسالة ١٨٠
أهل البيت قطب ومحور المودة ١٨٢
شعيرة الزيارة مستحبة أم واجبة ١٨٣
الفرق بين الإسلام العام وإسلام الإيمان ١٨٤
القرآن الكريم والغلو ١٨٦
فلسفة الجزع ١٨٩
الحسين عليه السلام أعظم من النبي يوسف عليه السلام ١٩١

علي وفاطمة وفقد النَّبي صلى الله عليه وآله ١٩١
الكمال والعدل عند أهل البيت عليهم السلام ١٩٣
حكم النبي عيسى عليه السلام في ظل حكومة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ١٩٤
أربع أنبياء وزراء لآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله ١٩٥
رجعة رؤساء العدالة الإلهية ١٩٧
الجزع والكمال المنشود ١٩٩
المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والأنظمة الغربية ٢٠٠
الجزع نوع من الأمل ٢٠١
فلسفة الشعائر ٢٠١
ملاك الولاية ٢٠٢
الوتر والثأر والانتقام ٢٠٣
حرب الأديان والطائفية ٢٠٥